الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

نظرية المعرفة عند الأمير عبد القادر

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إعداد الطالبة:

– خلفاوي عوالي

إشراف الدكتور:

– مسالتي عبد المجيد

السنة الجامعية: 2021/2020

بِسْم اللهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيم

{الله نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْض مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا

مِصْبَاحُ المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبُ

دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَ شَرْقِيَّةِ وَلاَ

غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارُ نُورُ عَلى

نُورٍ يَهْدِي الله لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ الله الأَمْثَالَ

لِلنَّاس وَالله بِكُلَّ شَيْءٍ عَلِيمُ} النور : 35

شكر وعرفان

اللهم لك الحمد حمدا كثيرا، طيبا مباركا فيه، و لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك، وعظيم سلطانك، و لك ياربّ على ما أنعمت علينا من قوة وصبر في إنهاء هذا العمل.

ثم نتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف **"عبد المجيد مسالتي"** الذي سهل لنا الطريق، ولم يبخل علينا بنصائحه القيمة فوجهنا حين تكون الأخطاء، وشجعنا حين يكون الصواب، فكان بذلك نعم المشرف، ولا ننسى أيضا كل الأساتذة بقسم الفلسفة.

كما لا ننسى تقديم خالص الشكر الجزيل لأعضاء اللجنة الموقرة الذين سيناقشون المذكرة وأشكرهم على كل الإرشادات التي سيقدمونها لنا من خلال المناقشة.

الإهداء

إلى أعظم نعمة من الله بعد الإيمان، إلى من قال فيها الخالق لا لجنة لعبدي بغير رضاها، وإلى التي علمتني أن الحياة كفاح، إلى التي وهبتني عمرها وفضلتني على نفسها وضحت بسعادتها وسهرت الليالي من أجلي، إلى منبع الحنان، إلى عزيزتي وقرة عيني أمي ثم أمي ثم أمي.

إلى صاحب القلب الكبير والصبر الطويل، الذي زودني بالمبادئ السامية والأخلاق الحميدة، والدي العزيز حفظه الله ورعاه أطال عمره.

إلى بركة البيت جدتي الغالية "**مسعودة** " حفظها الله ورعاها.

إلى من بهم أكبر وعليهم أعتمد وبهم أفتخر و بوجودهم أكتسب قوتي و إلى سندي في الحياة الذي يعتبر بمثابة الأب الثاني "**محمد**"، وإلى بقية أخوتي أوجه لهم تحية غالية(**يوسف**، **عبد الله**، **لخضر**، **الأمين**، **إبراهيم**، **بوضياف**. وزوجاتهم و أولادهم).

إلى صديقتي الغالية التي شاركتني المشوار الدراسي بمره وحلوه "**لهلالي سميحة**"

وإلى كل من تفضل علي بجزء من اهتمامه ولحظة من تفكيره

عوالي

الرموز المستعملة في المذكرة:

تح: تحقيق

تق: تقديم

ج: جزء

مج: مجلد

ص: صفحة

ص ص: الفكرة مأخوذة أكثر من صفحة

ص_ص: الصفحات متتالية

ص،ص: الصفحات غير متتالية

ت: توفي

م: ميلادي

هـ: هجري

ط: طبعة

(د.ط): دون طبعة

(د.ت): دون ترجمة

مقدمة

مقدمة:.....

يعتبر البحث في إشكالية المعرفة معضلة ومشكلة، من أهم المشاكل التي صدر فيها الصراع ولا يزال قائم حولها، حيث يرى أصحاب الاتجاه العقلي أن العقل كمصدر للمعرفة اليقينية وهو المسؤول عنها، بينما يرى أصحاب الاتجاه التجريبي أن الحس هو المصدر الأساسي للصول إلى معرفة يقينية، ولا يمكن الاعتماد إلا على الحس لحصول معرفة يقينية، وخلافا لما سبق يرى المتصوفة أنه لا العقل ولا الحواس بإمكانه التوصل إلى المعرفة، معرفة الله تكون بالقلب لأنه هو المصدر الوحيد للوصل إلى معرفة صحيحة ومطلقة يقينية خالية من كل الشكوك .

رغم الإحساس العميق الذي يملكه الصوفي بنقص قواه المعرفية، ومما جعل لديه رغبة وطموح من إنعتاق ذلك النقص البشري.

يكفي في الصوفية أنهم قالوا أنه الانقياد والخضوع لله، ومهما قيل في أمرهم فإنهم انطلقوا منذ البداية من العقل والدين، عايش الصوفي الجانب الروحي هن طريق الزهد، تطور من الوسائل المعرفية الحسية إلى مستوى العقل، ثم ظهر بالجانب الوجداني القائم على المعرفة الروحية، الآتية إليه من الرحمات الربانية، لذلك تطورت نظرية المعرفة تبعا الفكر الصوفي نفسه، وظهرت بشكل آخر مع محي الدين ابن عربي، بذلك عرفت ظاهرة التصوف، انتشار كبير في دول العالم الإسلامي، ويرجع هذا إلي مجموعة العلماء الصوفية، يظهر من خلال ما مروا به من تجاربهم الصوفية، وتأثرهم بمتصوفة المغرب الإسلامي والأثر الذي تركوه فيهم من خلال هذا التصوف. لا تتغير الأفكار حول الدور المميز الذي قاموا به متصوفة المغرب العربي ، في رقي التجربة الصوفية حول العالم الإسلامي، وإنجازاتهم التي لا تختلف عن إنجازات الكبار من الصوفية، "كالحلاج".

مقدمة:.....

من بين أعلام التصوف في الجزائر نجد "أبي مدين شعيب"، دليلا على ذلك "محي الدين ابن عربي"، حيث كان متأثر"بأبي مدين شعيب"، ونقل إسهامه وتأثره به ليبين مدى وأهمية المغرب ويبرهن تأثير المغرب على المشرق، ثم نجد من جديد هذه الشخصية البارزة في نفس الأمير "عبد القادر الجزائري"، أكير المتصوفة في الجزائر، يتجلى ذلك من خلال تصوفه من مباحث معرفية في أصل العالم، وحقيقة المعرفة، وغيرها من المباحث المعرفية التي ارتبطت بحياة الأمير، فكل مؤلف تاريخي كان عربي أو غربي كان يريد البحث في هذه الشخصية وتفصيلها "الأمير عبد القادر الجزائري"، والأكيد علا شجاعة هذا البطل القوي الذي منحه الله القدرة والقوة في الدفاع عن وطنه وحب الوطن والطموح والجهاد من أجل استقرار بلده والأمن الذي يجعل بلده مستقرا.

وللتعرف على التجربة الصوفية "للأمير عبد القادر" جاء هذا البحث ليبين القيمة المعرفية التي تخفيها حقيقة هذه التجربة، تحت عنوان نظرية المعرفة عند: "الأمير عبد القادر الجزائري"، الهدف من هذا البحث هو التفصيل في الجانب المخفي من تجربته المعرفية، ومن الدوافع التي جعلت التحفيز للبحث حول هذا الموضوع إظهار الجانب المعرفي من تجربة الأمير الصوفية، باعتباره يطمح لبلوغ معرفة يقينية كباقي الصوفية، هذا ما جعل الإشكالية كالتالي: ما طبيعة المعرفة عند الأمير "عبد القادر الجزائري"؟ و يترتب عن هذه الإشكالية، جملة من المشكلات أهمها: ما هي طرق المعرفة عند الأمير؟ وفيما تكمن مرتكزات هذه المعرفة؟. لحل هذا الإشكال، قسمت هذا البحث إلي ثلاثة فصول وخاتمة، تم في الفصل الأول دراسة العقل بصفة عامة، ثم عند "الأمير عبد القادر"وعلاقته بقوى النفس والحس، بصفة خاصة.

أما في الفصل الثاني: تم استعراض الطرق المعرفية، متمثلة في الأحوال والمقامات، والكشف، وتبيين الممارسات الصوفية التي تعتبر المنهج الموصل إلى المعرفة الكاملة عند الأمير عبد القادر، وهو اليقين المطلق أو المعرفة الكاملة كما يدعيها كل صوفي.

وفي الفصل الثالث تم إبراز مرتكزات المعرفة، بحيث كان للوجود قيمة عن طريق الخيال والبرزخ، لأن فيهما تتجلى معرفة الله، ثم التطرق إلى الإنسان الكامل كأكبر تجلي للمعرفة الإلهية، والتعرف عليه عند الأمير عبد القادر وغيره من الصوفية.

وفي خاتمة هذا البحث أبرزت النتائج المتوصل إليها في العرض وتحليل نظرية المعرفة عند الأمير عبد القادر الجزائري.

فبالنسبة للمنهج المعتمد هو المنهج التحليلي، لطبيعة الموضوع التي تحتاج إلى التحليل، بالإضافة إلى المنهج التحليلي المقارن لإظهار الاتفاق الموجود بين الأمير وغيره من الصوفية.

أما فيما يخص المصادر والمراجع، فمن المصادر التي اعتمدتها: كتاب "المواقف"، وكتاب "ديوان الشاعر"، ومراجع لها علاقة بالموضوع منها: "كتاب المفاخر في معارف الأمير الجزائري عبد القادر والسادة الأولياء"، لكمال الجزار.

الفصل الأول: العقل عند الأمير عبد القادر

المبحث الأول: تعريف العقل وأقسامه

المبحث الثاني: تعريف العقل عند الأمير

المبحث الثالث: علاقة العقل بالنفس والحس

المبحث الأول: تعريف العقل وأقسامه

من بين النعم التي وضعها الله في الإنسان، نعمة العقل، لكي يميز بين الأمور الحسنة والسيئة، ويستطيع معرفة ماهو ضار وماهو نافع، وفهم الأمور الدنيوية.

العقل لغة: تدل كلمة عقل في اللغة على التقييد، قال ابن فارس، العين والقاف واللام أصل واحد منقاس مطرد، يدل على حبسه في الشيء وهو الحابس عن ذميم القول[1]،

قال الخليل:العقل نقيض الجهل،عقل،يعقل،عقلا،وجمعه عقول،عرف ماكان يجهله. ويقصد بالعقل المنع والنهي والحجر، يقال عن القوة في الإنسان عقل[2]،كما ورد في قوله تعالى:{أَفَلاَتَعْقِلُونَ}[3] وقوله تعالى: {وَماَ يَعْقِلُهَا إِلَا الْعَالِمُونَ}[4]

وسمي العقل بذلك تشبيها بعقل الناقة، لأنه يمنع صاحبه من العدول عن سواء السبيل كما يمنع عقال الناقة من الشرود[5].

فالعقل ملكة وضعها الله في الإنسان لتقوية النفس والقدرة علا تصور الأشياء والمعاني فبواسطة العقل يمكن الوصول إلى الأشياء وتصورها وإدراكها وتمييزا لصواب من الخطأ.

---

[1]أحمد بن فارس زكريا، معجم مقاييس اللغة، عبد السلام محمد هارون، دارالفكرللطباعة والنشر، (د.ط) ج.4، (د.س)، ص96.

[2]حسن الشرقاوي، معجم الألفاظ الصوفية مؤسسة مختار، علم المعرفة القاهرة، ط1، 1987، ط2، 1992، ص211.

[3]سورة البقرة، الآية 44.

[4]سورة العنكبوت، الآية 43.

[5]جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت.لبنان، (د.ط)1972، ج2، ص84.

كما عرف الجرجاني العقل: على انه جوهر روحاني وضعه الله في الإنسان وهو نور في القلب من خلاله يمكن معرفة الحق من الباطل وهو ما يعقل به حقائق الأشياء هناك من يرى أن محله الرأس وهناك من يرى إن محله القلب[1].

أي أن العقل يوصل الإنسان إلى إدراك الصواب من الخطأ ويطلق على محل وجوده القلب أو الرأس لأنه محل الرؤية الصحيحة ومن خلاله يمكن معرفة منطقالمدركاتوالأشياء.فالعقل هو وسيلة المعرفة ويعين على الوصول إلى المعاني الكلية من خلاله نصل إلى المعاني الجزئية كما يمكننا من معرفة المعاني العامة[2].

فبالعقل يمكن تبسيط الأفكار ومعرفة الكليات كما يسهل الوصول إلى الأفكار الجزئية وفهمها وتسهل طريقة المعرفة من خلال فهم المعاني.

إن العقل في الكتاب والسنة وكلام الصحابة والأئمة لايراد به جوهر قائم بنفسه باتفاق المسلمين وإنما يراد به العقل الذي في الإنسان الذي هو عند من يتكلم في الجوهر والعرض، من قبيل الأعراض لا من قبيل الجواهر.وهذا العقل في الأصل مصدر: "عقل يعقل عقلا"[3].جاء في القران الكريم:{وَقَالُوا لَوْ كُنَا نَسْمَعُ أَو نَعْقِلُ مَاكُنَا فِيْ أَصْحَابُ اَلْسَعْيِر}[4].

فالعقل كما نرى لدى أهل الكتاب والسنة والصحابة ليس جوهر قائم بذاته ومن نفسه بل بوجود الإنسان ومن عرض الأشياء حيث يتكلم الإنسان في الأعراض وبالبحث

---

[1]علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر القاهرة، ص.ص 127-128

[2]إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤن المطابع الأميرية، القاهرة، مجمع اللغة العربية، مصر،1983، ص164.

[3]ابن تيمية، بغية المرتاد، موسى بن سليمان الدويشي، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ط3، 2001، ص ص 251-252.

[4]سورة الملك، الآية10.

والوصول إلى عرض الأشياء ليس من قبيل الجواهر السطحية فالعقل هو جوهر وعرض الإنسان ليس أمر جوهري فقط.

نجد في الموسوعة الفلسفية لمعين زيادة: أن العقل هو الأحكام والربط منعا للشرود والتسيب[1]، أي أنه الأداة التي تستطيع التحكم في الإنسان من خلال النهي وإبطال الشرود والتسيب الذهني، فالعقل سمي عقلا لأنه يمنع صاحبه من التورط في المهالك[2]، وهذا تفاديا للوقوع في الأمورالقبيحة، والتي تؤدي بصاحبها إلى الهلاك لهذايقال عقل البعير أي أنه شدها من أن تثور،فالعقل هو الذي يؤدي إلى النجاة من المصائب والأخطاء المؤدية بصاحبها إلى الهاوية والهلاك.

لهذا يقال للمخاطب أعقل مايقال لك بمعنى أحكم واحصر أفكاره ومعانيه.

العقل في اللغة يراد به العديد من المعاني المذكورة سابقا حيث يقال عَقلَ (بفتح اللام) الرجل إذا كف نفسه وشدها عن المعاصي[3].

هنا نصل إلى أن العقل في اللغة يصلنا إلى العديد من المعاني اللغوية التي مردها كلها إلى العقل كأن يراد التثبيت في الأمر والامتناع عن بعض الأمور الغير الصائبة والشد والإحكاموالحبس أي أن كلمة عقل توحي للعديد من المعاني والالتزام عند الوقوع في الزلل أي يحكم الإنسان من الوقوع في الخطأ ويحيله إلى الطريق الصحيح.

---

[1]معين زيادة، الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الإنماء العربي، قريش، ط1، 1987، ص596.

[2]مراد وهيبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2007، ص423.

[3]الحسون علاء، تعريف العقل لغة واصطلاحا، الجوزة الإعلامي، دار الغدير، https,hawzah.net، 2021/04/20، 13سا22د.

فالعقل هو الذي يميز الإنسان ويتميز به عن سائرالمخلوقات والكائنات الحية، يقال قلب عقول ولسان مسؤول، عقل الشيء يعقله عقلا[1].

العقل اصطلاحا: قد تعددت وتنوعت الاصطلاحات حول مفهوم العقل نجد أن العقل حسب موسوعة عبد الرحمان بدوي: هو ملكة إدراك ماهو كلي وضروري سواء كان ماهية أوحتمية يقال إن العقل "هو ملكة الربط بين الأفكاروفقا لمبادئ كلية"[2]،بمعنى أنه من خلال العقل نتوصل إلى إدراك الأفعال الكلية والربط بين الأفكار والمعلومات الضرورية وفقا لأسس ومبادئ منحيث أنه ملكة للتزويد بالمعارف الأساسية والكلية التي يحتاج إليها كل من يتمتع بهذه الملكة التي يتفضل بها الكائن الحي(الإنسان)

كما أن العقل عرف عند ابن حيان: «اسم يقع على المعرفة بسلوك الصواب،والعلم باجتناب الخطأ"[3]، أي أنه ملكة يتم عبرها معرفة الحقائق وتخطي كل ماهو خاطئ من خلال العلم بهذه المعرفة.

والعقل عند المتصوفة يوجد على ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: العقل الرباني المستتر، هو صفة للروح قبل التركيب في الجسد كان للروح بمنزلة البصر للعين، أي تكتشف من خلاله الأشياء الباطنة فهو القسطاس المستقيم.

---

[1]محمد علي الجوزو، العقل في الكتاب والسنة، أبحاث ووقائع المؤتمر العام الثاني والعشرون، مفتي جبل لبنان، المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية ص1.

[2]عبد الرحمان بدوي، الموسوعة الفلسفية، المؤسسة الفلسفية العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984، ج2، ص81.

[3]محمد احمد حسن، مكانة العقل في القران الكريم والسنة، المفتي العام للقدس الديار فلسطين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، (د.ط)، (د.س)، ص4.

المرتبة الثانية: العقل الكلي، وهو الذي استتر بقشور من الظلمة الخفية فانكشف له حقيقة الأشياء الكونية ظاهرا وباطنا.

المرتبة الثالثة: العقل المعاشي، وهي أحط المراتب وأسفلها العقل المعاشي الذي يدير أمر الدنيا من الشهوات والعكوف عليها والفرار من كل ما يناقض هذه الأمور وهذا العقل يشترك فيه الآدمي والبهائم[1].

أما فلسفيا فقد اتخذ العقل عدة معاني:

العقل جوهر مجرد عن المادة وهي النفس الناطقة والصحيح أنه جوهر مجرد يدرك الغائبات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة.كما انه قوة في الإنسان يدرك كنه الماديات أولا ثم المعاني العامة كالوجود[2].

أي أن العقل يمكنه تصور الأمور الغائبة من خلال الوسائط وإدراك الأمور المحسوسة عن طريق المشاهدة بمعنى من خلال ملاحظة الأشياء، يمكنإدراكها ومعرفتها كما يمكنه معرفة الأمور التي لم تلاحظ بالعين فقط لمجرد إدراكها، رغم ذلك هو يمنح قوة خاصة داخل الإنسان تزوده بإدراكات تمكنه من المعرفة وإعطاء صورة حول الأمورالغيبية.

يعد العقل من بين المصادر المعرفية عند المفكرين، فأبي حامد الغزالي يعتبران العقل مصدر المعرفة والعلم، وهو أساس العلوم يقول الغزالي:"العقل منبع العلم

---

[1]أيمن حمدي، فهرس المصطلحات الصوفية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)،2000، ص ص76-78.

[2]مراد وهيبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2007، ص ص423-424.

ومطلعه وأساسه،والعلم يجري منه مجرى الثمرة من الشجرة والنور من الشمس والرؤية من العين فكيف لايشرف ماهووسيلة السعادة في الدنيا والآخرة"[1].

ويؤكد الغزالي على أن العقل هو أساس السعادة وبه تقوم العلوم ومن أراد الدنيا والآخرة عليه بالعلوم،والعلم يكون بالعقل[2].

أقسام العقل:

ميز الفلاسفة بين ثمانية أنواع للعقل أي أن العقل عندهم مشترك يدل علا ثمانية أنواع مختلفة.

1-العقل الذي يريده الجمهور: قوة للنفس تقبل ماهية الأمورالكلية

2-العقل العملي: مبدأ محرك للقوة إلى ماتختاره من جزيئات لأجل غاية

3-العقل بالملكة: استكمال للعقل الهيولاني حتى يصير بالقوة القريبة من الفعل

4-العقل المستفاد: ماهية مجردة عن المادة

5-العقل النظري: قوة لنفس تقبل ماهيات الأمور الكلية، وهي احتراز عن الحس

6-العقل الهيولاني: قوة لنفس مستعدة لتقبل ماهيات الأشياء

---

[1]أبو حامد الغزالي، لإحياء علوم الدين، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت. لبنان، ط1،2005 ، ص98.

[2]أبو حامد الغزالي: ولد حجة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالي، محمد بن احمد الغزالي سنة450هـ في ضاحيت غزالة بمدينة طوس، من أعمال خرسان، ثم رحل الغزلي إلى نيسابور سنة 470هـ وهي من مدن العالم المعروفة أنا ذاك ثم انتقل إلى بغداد خلال ذلك ظهر تفوقه في الكلام والعلوم الشرعي، اهتم الغزالي بالفلسفة، بعد أزمة نفسية وصراع شديد تردد بين شهوات الدنيا ودواعي الآخرة وبعد ذلك، أخذ بحياة التصوف وخرج من بغداد إلى الشام، إلى بيت المقدس والحجاز وقضى سنوات في الزهد والعبادات على طريق المتصوفة. يوسف فرحات، الفلسفة الإسلامية وأعلامها، ناشر تراديكسيم، جنيف، ط1، 1986، ص121.

7-العقل بالفعل: استكمال لنفس بصورة ما، متى شاء عقلها أو حضرها بالفعل

8-العقل الفعال: كل ماهية مجردة عن المادة أصلا[1].

المبحث الثاني: تعريف العقل عند الأمير

يعرف الأمير عبد القادر[2]العقل تعريفا صوفيا إذ يعرفه بالبصيرة والمعرفة بتعظيم قدر الأشياء النافعة والضارة في الدنيا والآخرة، ومنه العقل عن الله تعالى بأن تعظم

---

[1]أبي حامد الغزالي، معيار العلم في المنطق، احمد شمس الدين، دار الكتاب العلمية. بيروت، ت:علم المنطق، ط2،2013،ص ص286-289.

[2]الأمير عبد القادر، بن محي الدين، بن مصطفى، بن المختار، بن عبد القادر، بن احمد المختار، عبد القادر بن احمد المشهور بابن خده وهي مرضعته، ابن محمد، ابن عبد القوي، بن علي بن احمد بن عبد القوي بن خالد بن يوسف بن احمد بن بشار بن محمد بن مسعود بن طاووس بن يعقوب بن عبد القوي بن احمد بن محمد بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله المحض بن الحسن المثني بن الحسن السبط ابن علي ابن أبي طالب وأم الحسن فاطمة الزهراء بنت محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم"، ولد يوم الجمعة في شهر مايو سنة 1807في قرية القيطنة اغريس تقع في وهران في الجزائر ينتهي إلى أسرة عريقة، تنتهي سلالتها إلى النسب النبوي، ألف العديد من الكتب من أشهرها، المقراض الحاد لقطع لسان منتقض الإسلام من أهل الباطل والإلحاد: رسالة رد بها علا الطاغين في الإسلام، المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد: يتكون من ثلاث مجلدات ألفه في دمشق، اشتهر بقوة البدن والفروسية كانت مهارة الصيد المحببة لديه لم يشغله ذلك عن واجباته الدينية. عبد الرحمان تركي، المعرفة الصوفية في فكر الأمير عبد القادر، مجلة البحوث والدراسات، ع8، جامعة الوادي، 2009، ص26. فؤاد السيد صالح، الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص29. مالك بن خليف، التربية الصوفية والسياسية في حياة الأمير عبد القادر، مجلة التواصل في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع2، جامعة باجي مختار عنابة، 2017ص311.

فؤاد السيد صالح، الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا، ص95،99. (5) المرجع نفسه، ص36-37.

معرفة الإنسان وبصيرته بعظيم قدر الله تعالى، وبقدر نعمه وإحسانه وبعظيم قدر ثوابه وعقابه، إذ قدر ذلك هاب الله ونجا[1].

فالأمير عبد القادر ينظر للعقل من منظورصوفي أي مايربط العقل بالله وبالمعرفة الصوفية التي تتجلى في تعلق الإنسان بالله وتعظيمه له وقوة ارتباطه لله وعظمة شأنه العقل يتضح من خلال الأمير في معرفة قيمة الأشياء ومعرفة النافع منها والضار وأن الإنسان العاقل يعرف عظيم الله وقدرته ومن عرف قدر ثواب الله هاب الله ونجا.

كما يعرف الأميرعبدالقادر العقل بأنه الملكة التي أُنعم الله بها على الإنسان ليسعد في الدارين وأشرف ما يميز الإنسان عن الحيوان ذلك أن العقل منبع العلم وأساسه والعلم يجري منه مجرى الثمر من الشجر.

أي أن العقل عند الأمير هو منبع العلم ومن لا يملك العقل لا يمكن أن يصبح عالما ولايمكنه اكتساب ملكة العلم وتعريف الأميرللعقل لا يختلف عن تعريف الإمام الغزالي للعقل فكلاهما له نفس الصيغة حول العقل.

إدراكا من محي الدين[2] بأنالعقل السليم في الجسم السليم

---

[1]عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، باتنة، 2000، ص204.

[2]محي الدين ابن عربي: هو محمد بن علي بن محمد محي الدين، أبو بكر الحاتمي الطائي(560-638هـ)، أشتهر بابن عربي، وهو شيخ الأمير عبد القادر، وقد تأثر به كثيرا،بمرسية بالأندلس، ثم أنتقل إلى أشبيلية، ثم أرتحل إلى بلاد الشام والروم، ثم أنتقل إلى بغداد، من أهم مصنفاته تفسير القران الكريم، والفتوحات المكية. عبد الفتاح أحمد فؤاد، فلاسفة الإسلام والصوفية وموقف أهل السنة منهم، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، (د.ط) 2016، ص249

بمعنى أن سلامة الجسم تؤثر على سلامة العقل ولابد من سلامة الجسم ليكون العقل سليما معافا من كل الأخطاء التي يقع فيها.

"العقل يتطور ويعطي ثماره بالتمرين المستمر، فالعقل نور يدرك به الإنسانأمور كثيرة بالدراسة والبذل والجهد، كما أنللإيمان نورا يدرك به أشياءأخرى،فمن كان إنسانا نقيا مؤمنا يعلمه الله من لدنه علما آخر يدرك به العقل مانسب الله إلى نفسه من الصفات والأفعال التي حملتها أسماؤه الحسنى"[1].

قال تعالى:{إِنْ تَتَّقُوا الله يَجْعَل لَكُمْ فُرْقَانَا}[2] الفرقان بمعنى العلم، والطريقة التي يعرف بها الأمير العقل حيث يتبن الفلسفة القديمة يقول حول العقل:"انه الخاصية التي بها يتمايز بها الإنسان الحيوان، وهو نوعان، فإما مايدرك الكليات فيسمى قوة نظرية وإما مايستنبط به الصناعات الفكرية من أدلتهابالرأي فيسمى قوة عملية"[3]،

يبين الأميرأن العقل وضعه الله للإنسان كخاصية رفعه بها عن الحيوان ويميز الإنسان بالعقل عن سائر الكائنات الحية ومايميز به بين الخير والشر والحسن والقبيح.

المبحث الثالث: علاقة العقل بالنفس والحس

1/العلاقة بين العقل والنفس:

قبل تطرق الأمير لعلاقة العقل بالحس سنوضح كيف انه لايوجد احد من علماء المتكلمين أو الحكماء عثر على معرفة النفس إلا الإلهيين من الرسل والأكابر من

---

[1]ميسون مسلاتي، قراءة معاصرة لأفكار ابن عربي، دار افنطة للنشر والتوزيع، ط1، 1997، ص17.

[2]سورة الأنفال، الاية29.

[3]عشراتي سليمان، الامير عبد القادر المفكر، دار الغرب للنشر والتوزيع، ط2، 2004، ص28.

الصوفية يقول الأمير: "لما كانت معرفة الرب لازمة لمعرفة النفس الناطقة وهي الروح، فإنها نسخة من الرب تعالى بل ومثل لصورته تعالى والرب غير مقيد ولا محصور إنما هو تعالى كل يوم في شان واليوم هنا هو الآن الذي هو حد الزمانيين الماضي والمستقبل فكانت النفس كذلك كل آن في حال ولما كان الأمر هكذا(...)فما عثر على معرفة النفس إلا العلماء الإلهيون الذين معلمهم الإله _جل جلاله _ ومن الرسل صلوات الله عليهم وسلامه، والأكابر من الصوفية لا مطلق الصوفية وأما أصحاب النظر العقلي ودليلهم الفكري على معرفة النفس الإنسانية وماهيتها فما منهم من عثر على حقيقتها"،[1] أي أن الأمير يبين انه لم يصل أحد من العلماء أو الفلاسفة لمفهوم النفس غير المتصوفة والإلهيون فهي صورة مشابهة للرب، وحتى أصحاب النظر العقلي لم يصلوا لمعرفة النفس لأنها فوق العقل فهي متماثلة مع معرفة الرب .

يقول الأمير: وما أصاب احد منهم لأنهم طلبوا معرفتها بالنظر وإقامة البراهين العقلية ومعرفة النفس لا يمكن أن تكون من خلال النظر الفكري لأنها تفوق النظر العقلي، إنما يكاشف بذلك القلبالسليم، ثم يفيض على العقل، فمن طلب الوصول إلى العلم بها والحصول على حقيقتها عن طريق العقل وأعرض عن طريق جلاء مرآة القلب فقد اخطأ الطريق[2]، أي أنه لايمكن الوصول إلى تفسير ومعرفة النفس، من خلال النظر العقلي، لأنها أكثر منه درجة ومن أراد معرفة النفس، عليه ألا يعرض عن طريق القلب، لأنه المؤدي إلى معرفة النفس ومن اتبع طريق العقل وأهمل طريق القلب فقد أخطأ خلال معرفته.

---

[1]الأمير عبد القادر، المواقف الروحية الفيوضات السبوحية، منشورات علي بيضون دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، ط1، 2004، ج2، ص415-416.

[2]المصدر نفسه، ص416.

نجد أن من بين فلاسفة الإسلام بن سينا حيث انه لايكاد أن يقول شيئا حول تعريف النفس أكثر مما قاله أرسطو فابن سينا في هذا التعريف يحاول الجمع بين أرسطو في النفس ورأي أفلاطونوأفلوطين من جهة أخرى، يقول: اسم مشترك يقع على معنى مشترك فيه الإنسان والحيوان والنبات، وعلى معنى مشترك فيه الإنسان والملائكة السماوية، فحد المعنى الأول أنه كمال جسم طبيعي إلى ذي حياة بالقوة وحد النفسبالمعنى الآخر أنه جوهر غير اسم، كما هو كمال الجسم محرك له بالاختيار على مبدأ نطقي أي عقلي بالفعل أو بالقوة[1]،

لم يستطيع فلاسفة الإسلام الوصول لمفهوم النفس، حيث نجد ابن سينا يتكلم عن ثلاثة تعريفات حول النفس، على أنه في التعريف الثالث لم يفق ما قاله أرسطو وجمع بين الفيلسوفين أفلاطونوأفلوطين على أنهما يرجحان النفس على مايشترك فيه الإنسان والحيوان والنبات.

وظائف النفس الإنسانية تنقسم لثلاثة أقسام:

1-وظائف مشتركة بين النبات والحيوان مثل التغذية

2-وظائف تشترك بين الحيوانات مثل التخيل والحس

3-وظائف تخص الإنسان مثل التعقل[2].

فهذه الوظائف تبين مدى الاشتراك بين الكائنات حول النفس مثل التعقل فالعقل يتمتع به كل البشر.

[1]ابن سينا ومذهبه في النفس، دار الاحد البحيري إخوان، بيروت، 1974، 68.

[2]المرجع نفسه، ص67.

يؤكد الأمير على أن هناك نفس جزئية داخل نفس كل فرد، متولدة من الطبيعة والروح، تأخذ امتدادها من النفس الكلية، فالنفس الخاصة، تكونت عندما نفخ الله من روحه، ولكل شخص نفس ناطقة ونفس حيوانية، الأولى تتعلق بالعلم بجزيئات الأمور ونتائجها، والثانية تتعلق بالمزاج والطبيعة، النفس الناطقة مركبها النفس الحيوانية إما تؤدي لهلاكها أو سلامتها إذا غلبت النفس الحيوانية تتعطل النفس الناطقة لا يضبطه عقل ولا منطق[1]، أي أنه داخل كل إنسان توجد نفس جزئية، نتجت عن قوى النفس الكلية حين نفخ فيه الحق من روحه بمثابة العقل للإنسان ومكونة من نفس ناطقة، ونفس حيوانية، يستضئ بالنفس الناطقة نورا تتغذى منه النفس الحيوانية يمكن تعديلها وترويضها من خلال العقل، يقول الأمير حول ذلك: "النفس الناطقة مسماة بالكلية الرحمانية وهو جوهر مجرد عن المادة متعلق بالبدن تعلق التدبير من شأنها إدراك العلوم والمعارف"[2].

يبين الأمير مدى قيمة النفس الناطقة وقيمتها حيث سماها الكلية الرحمانية نسبها إلى الرحمان حيث أنها منفصلة مفارقة عن المادة مرتبطة بالبدن كل الارتباط من خصوصيتها معرفة العلوم وإدراك المعرفة وتصدر الأفعالوالأحكام المتعلقة بالبدن.

وهي من أشرف النفوس لأنها تنتج عن النفخ من روح الرحمان يقول تعالى: {وَنَفَخْتُ فِيْهِ مِنْ رُوحِي}[3]، يقول الأميرعبد القادر، "كل من ينظر بعده في مرآة

[1]ميسون مسلاتي، قراءة معاصرة لأفكار ابن عربي، ص ص19-20.

[2]رسائل ابن عربي، كتاب اليقين وكتاب المعرفة، تح. سعيد عبد الفتاح، بيروت. لبنان، ص ص141-142.

[3]سورة الحجر، الاية29.

الوجود الحق لا يرى إلا صورة العقل، ومن ينظر في مرآة العقل لا يرى إلا صورة النفس، ومن ينظر في مرآة النفس لا يرى إلا الطبيعة"[1]،

فالعقل والنفس والذهن واحد، إلاأن النفس سميت نفسا لكونها متصرفة، وذهنا لكونها مستعدة للإدراك، وعقلا لكونها مدركة، وللنفس الناطقة باعتبار تأثيرها بما فوقها واستفاضتها عنها يكمل جوهرها في التعليقات قوة تسمى عقلا نظريا، وباعتبار تأثيرها في البدن تأثيرا اختياريا قوة أخرى تسمى عقلا عمليا، مستعين بالعقل النظري[2].

قد تطرقت سابقا للعقل النظري والعقل العملي من هذا الاندماج والتأثير والتأثر للنفس وحد العقل النظري والعقل العملي ليقوم كل واحد منهما بدوره الفعال.

نظر إخوان الصفا إلى القوى المفكرة على أنها أفضل قوى النفس، لأنها تؤدي إلى المعرفة، والمعرفة باب النفس، وبحثوا في العقل فقالوا: "ان العقل أشرف من النفس وأن الإنسان أفضل من سائر الحيوانات من قبل عقله لا من جهة نفسه لأن سائر الحيوانات لها نفوس أيضا "فكفى بهذا دليلا على إنا العقل أشرف من النفس[3].

يظهر هنا أن العقل من قوى النفس وهو مايميز الإنسان عن سائر الحيوانات وأن النفس مشتركة بين الإنسان والحيوان على غير العقل.

كما يرى جماعة إخوان الصفا "أن العقل لما كان قوة من قوى النفس الإنسانية فهو فيض من البارئ _عزوجل_، وعلى أساس نور العقل وصفاء النفس كانوا يزنون

---

[1] الأمير عبد القادر، المواقف الروحية والفيوضات السبوحية، ص496.

[2] سعيد مراد، العقل الفلسفي في الإسلام، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 2000، ص20.

[3] قدوى حافظ طوقان، مقام العقل عند العرب، ثروة اباضة. القاهرة، بيروت، 2002، 35.

الرجال، أي أن النفوس تتفاضل بعضها ببعض بالعقل لا بغيره، فهو الذي يفيض على النفس الخيرة، وهو أفضل من جوهر النفس"[1].

بمعنى أن العقل من قوى النفس وهو فيض عن الله عزوجل ومن بعد فيضه وقوته نتج عقل وأن الرجال كانت تزن على حسب نور العقل وصفاء النفوس وأن العقل يفوق جوهر النفس.

قال تعالى: {هُوَ الذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَة}[2]، وهي النفس الكلية، تجلى الحق تعالى للعقل الأول من الجانب الأيمن، فرأ لذاته ظلا في العماء هذا الظل يسمى النفس الكلية التي تمتد منها نفوس البشر (النفوس الجزئية)، فالعقل الأول مستفيد من الله تعالى مفيد للنفس، والنفس مستفيدة من العقل[3].

فإذا تمعنا في الأقوال السابقة نجد أنالأمير لا يختلف حول تفكير إخوان الصفا في نظرية فيض العقل عن الخالق _عز وجل_ في حين إخوان الصفا يرون أن العقل أشرف من النفس لاعتباره قوة من قوى النفس وملازم لها، فالأمير يوضح لنا كيف أن العقل هو من فيض الله (العقل الأول) ثم فيض النفس وماسماه النفس الكلية وتليها الروح التي تلازم الخالق لم يوجد لها العلماء والفلاسفة مفهوم إلا الربانيون من الرسل وكبار المتصوفة ومن هنا يظهر لنا تمييزالأمير بين العقل والنفس والروح،

اعتبارا من هذا يمكن القول إن العقل يكمل النفس ويوازيها فإن صلحت النفس صلح العقل وإن فسدت النفس فسد العقل، فهما يكملان بعضهما البعض.

2/العلاقة بين العقل والحس:

---

[1]المرجع نفسه، ص46.

[2]سورة الأعراف، الاية189.

[3]ميسون مسلاتي، قراءة معاصرة لأفكار ابن عربي، ص66.

للعقل مكانة كبيرة عند فلاسفة المسلمين بعكس ما ادعاه عليهم بعض المستشرقين بأنه ليس للعقل مكانة عندهم، واستدل فلاسفة المسلمين على العقل بأنه يتميز على المعرفة الحسية بعدة مميزات:

1-الضرورة: هي خاصية من خواص العقل أو المعرفة العقلية، ويدل على ذلك قول الإمام الغزالي:"العلوم الكلية الضرورية من خواص العقل، إذ يحكم الإنسان بأن الشخص الواحد لايتصور أن يكون في مكانين في حالة واحدة وهذا حكم منه على شخص، ومعلوم أنه لم يدرك بالحس إلا بعض الأشخاص فحكمه على جميع الأشخاص زائد على ما أدركه الحس".

2-صدق التعميم أو الكلية: تمتاز المعرفة العقلية بأنها جازمة ثابتة شاملة لأفراد موضوعها، كما أن للعقل القدرة على تبويب الإدراك مما يقوم بتجميعه عن طريق الحواس[1].

فالضرورة وصدق التعميم أهم خواص للعقل ليكون الحكم صحيح وجازم وتكون الأفكار ثابتة وصحيحة كما للعقل القدرة على ترتيب الإدراكات،حتى يعيد استجمعاها وتنظيمها عن طريق الحواس.

ففلاسفة المسلمين رغم أنهم كانوا معترفين بالعقل ومكانته الكبيرة ومع وجود أدلتهم القاطعة حول العقل لأنهم اعتبروا أنه لكي تكتمل هذه المكانة لابد من تعاون الحس مع العقل حتى يعطينا العقل حكما صادقا لا باطلا.

لاتختلف مكانة الحس عند فلاسفة الإسلام كمصدر للمعرفة عن العقل فهما مصدران أساسيان وقد يكون بمرتبة واحدة لأنهم لم يفضلوا واحدًا عن الآخر، نجد الفارابي يقر

[1]الصاوي الصاوي أحمد، الفلسفة الإسلامية، (مفهومها ونشأتها وأهم قضياها)، دارالنصر للتوزيع والنشر، جامعة قناة السويس، 1997، ص ص 121-123.

بأن العقل والحس كمصدرين للمعرفة:" إن العقل تحصل فيه صورة الأشياء عند مباشرة الحس للمحسوسات فتحصل صورها فيه، وتؤدي بها إلى الحس المشترك حتى تحصل فيه فيؤدي الحس المشترك تلك الصورة إلى التخيل، والتخيل إلى قوة التميز ليعمل التميز فيها تهذيبا وتقييما ويؤدها منقحة إلى العقل"[1]،

الفارابي من خلال نصه يربط بين العقل والحس ربطا قويا لتكون عملية المعرفة كاملة.

كذلك نجد أن نصر الدين الطوسي: يعرف العقل بأنه:"غريزة يلزمها العلم بالضروريات عند سلامة الآلات" يقصد بالآلات الحواس[2]،في حين أن الغزالي ينظر إلى موضوعات المعرفة التي تنقسم إلى قسمين:

أشياء محسوسة وأشياء معلومة بالعقل، فكل مايعرف في مجال الحواس يتبع المجموعة الأولى، وكل مالا يعرف عن طريق الحواس يتبع المجموعة الثانية، مثل الحواس الخمس نفسها وكذلك العلم والقدرة والإرادة[3].

العقل بالنسبة للحواس هو الوعاء الذي تصب فيه المدركات الحسية والعقلية من العلم النظري، والذي يصدر أحكامه عليها في نظر ابن عربي العقل يعجز عن إدراك ما يدركه الحس[4].

---

[1]نفس المرجع، ص119.

[2]المرجع نفسه،119.

[3]محمود حمدي زقزوقي، المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، الناشر دار المعارف،القاهرة، ص135.

[4]ساعد خميسي، منزلة العقل في فلسفة ابن عربي الصوفية، ص10

في نظر الأمير العقل أشرف من الحس لسعة الاستيعاب وشمولية الإدراك التي تميزه، إذ العقل ينفذ إلى ماوراء الظواهر بينما قدرة الحس تتوقف عند السطح' أي أن الحس في نظر الأمير عاجز عن الوصول إلى مايصل إليه العقل بمدركاته.

يقول ابن عربي: " إن الله خلق قوة الفكر وجعلها خادمة للعقل حيث يقلدها فيما تعطيه دون أن تتعدى مراتبها، نجد عند ابن عربي أن كل قوة من قوى النفس تؤدي وظيفتها خدمة للقوة التي تليها بالاعتماد علا ماقبلها من قوى وصولا إلى العقل الذي يستمد معارفه ويؤسس علمه النظري منها انطلاقا من الحس ووصولا إلى قوة الفكر"[1].

يرى ابن عربي: أن كل معرفة لا تتعدى مراتبها وتبحث فيما يدور حولها لا تتعدى المصادر الأخرى في حين أن كل معرفة هي خادمة لأخرى كما اعتبر قوة الفكر خادمة للعقل.

ورغم أن الأمير أولى اهتماما للعقل عن الحواس لكنه لاينكر وجودها وقيمتها، يبقى هناك ارتباط ووجود للحواس ودورها إلى جانب العقل.

تطرقت في هذا الفصل لأهمية العقل، وأقسامه ودوره، حيث وقفت على نظر العديد من الفلاسفة حول العقل وأقسامه، وكيف كانت نظرتهم حوله باعتباره الملكة المميزة للإنسان.

كما كان جل تفكير الأمير واستخداماته للعقل مستوحات من تعلقه بالله ومدى اهتمامه بالجانب الصوفي الذي شغل حيزا شاسعا من تفكيره وجل جوانب حياته.

[1]ساعد خميسي، منزلة العقل في فلسفة ابن عربي الصوفية، ص6.

الفصل الثاني: طرق معرفة الله عند الأمير عبد القادر

المبحث الأول: المقامات والأحوال

المبحث الثاني: الكشف

المبحث الثالث: اليقين

أولا وقبل البدء في هذا العنصر الذي يعتبر ضمن مبادئ المتصوفة حيث هي القاعدة التي يسير عليها المتصوفون لتكون هذه القاعدة ضمن مراحل المتصوفة في تصوفهم ومن بينهم الأمير عبد القادر حيث يقسم طريقه الصوفي إلى أربعة مراحل:

1/المرحلة الأولى: مرحلة التلقن والمطالعة (1807-1830م)

تمتد هذه المرحلة من ولادة الأمير إلى تاريخ نزول الفرنسيين بالجزائر عام1830، أهم فترة في هذه المرحلة هي الفترة التي سافر فيها الأمير لأداء فريضة الحج وأتيحت له فرصة الاطلاع على الكتب الصوفية

[1] منها الطريقة النقشبندية[2] والطريقة القادرية[3].

مر الأمير عبد القادر منذ ولادته إلى سنة 1830 على مرحلة المطالعة و التلقن والتعلق بالله أي أنه يهئ ويجهز لتثقف صوفي ومطالعة مبادئ التصوف وأصوله على حقيقتها وفتح باب للتعلق بالله والبحث بكل الطرق المؤدية للتقرب الإلهي.

2/المرحلة الثانية:مرحلة الفتوة والفروسية والمرابطة (1830-1848م)

كانت مرابطة الأمير عبد القادر ضد الفرنسيين في المرحلة الثانية من تصوفه عندما اعتدوا على بلاده وأرادوا استعمارها هو لم يحارب فرنسا ولا الفرنسيين بل

---

[1]فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا، المؤسسة الوطنية للكتاب الرغاية، 1985،ص125

[2]الطريقة النقشبندية، نسبة إلى مؤسسها محمد بن محمد بهاء الدين نقشيند يدعي أصحاب الطريقة النقشبندية أن طريقهم سنية الأصل لا بدعة فيها يقول أحدهم إنها معتقد أهل السنة والجماعة وهي طريق الصحابة رضي الله عنهم، عبد الفتاح أحمد فؤاد، فلاسفة الإسلام الصوفية وموقف أهل السنة منهم، دار الوفاء للطباعة والنش، الإسكندرية، 2017، ص ص267-268.

[3]الطريقة القادرية، تنسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني، وتمتاز طريقته بالاعتدال والتساهل وإتباع السنة وحب الخير، والشفقة والتواضع، والبعد عن التعصب الديني، فؤاد السيد صالح، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا، ص128

حارب من حمل السلاح وجاء الجزائر مقاتلا ومستعمرا إن روح الفتوة والمرابطة على شكل لمقاومة العدوان وتحرير البلاد والترفع عن استعمال الغدر وهذه الميزة التي تمتع بها الأمير عبد القادر طوال المرحلة الثانية من تصوفه، تميز التصوف الإسلامي بميزتين وكان الأمير عبد القادر مهتما بهما أن التصوف الإسلامي في جوهره شريعة دنيوية وأخروية يأمر بالعمل والجهاد، أن الشريعة الإسلامية حددت للمسلمين واجبات اجتماعية وفرضت أن معنى الإيمان يكون قوة روحية ضد كل طاغية وضد كل ظلم وعدوان، كان الأمير عبد القادر عمليا في تصوفه يسمو إلى ذروة الفتوة والمرابطة خلافا لما صار إليه معظم الصوفيين[1].فالأمير عبد القادر تميز بقوة لمقاومة العدوان وحبه ودفاعه عن بلده غرس فيه روح الشجاعة والقوة مرة أخرى حيث كان بعيدا عن ما يسمى بالغدر كما نلاحظ أنه اهتم بمميزات التصوف الإسلامي وكان ملما بها دون إهمالها فتصوف الأمير عبد القادر كان متميزا من نوعه عن باقي المتصوفة لأنه يسمو إلى ذروة وأعلى قمة المرابطة والفتوة فتصوفه يظهر من خلال هذه المرحلة بأنه دينيا ودنيويا.

3/<u>المرحلة الثالثة</u>: مرحلة التأمل والتفكير(1848-1852م)

تمتد هذه المرحلة حيث كان الأمير أسير بفرنسا، أتاح له الأسر فرصة للخلو والعبادة، ظل متمسكا بوقد الصبر والشوق للخلاص من الأسر ككثير من الصوفية الذين يرون أن الابتلاء من الله امتحان واختبار للصوفي[2]

أتاحت له هذه الخلوة فرصة التأمل الصوفي، حيث أنه كان يشغل وقته بالذكر والدعاء تعتبر هذه المرحلة مهمة في مراحل التأسيس الصوفي لأنها إعداد للمرحلة

---

[1]فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا،ص ص 129-132

[2] بركات محمد مراد، الأمير عبد القادر المجاهد الصوفي، دار النشر الإلكتروني جامعة عين الشمس،ص61.

الأخيرة التي سيصل فيها الأمير عبد القادر إلى ذروة التصوف كما أن هذه المرحلة بمثابة وصل بين المرحلتين السابقتين.

يقول الأمير عبد القادر:"دخلت مرة الخلوة، فعندما دخلتها انكسرت نفسي وضاقت عليا الأرجاء وفقدت قلبي، وإذا المعرفة نكرت والأنس وحشة، و المطايبة مشاغبة، والمسامرة مناكرة، فكان نهاري ليلا وليلي ويحا وويلا، تمكن الشيطان بالتمريج والتخليط، وأي قربة أردتها أبعدت بها، فلم يبقى معي من أنواع الصلاة إلا الصلاة"[1]

4/المرحلة الرابعة:(1853-1883)

بدأت حياة الأمير عبد القادر بالجهاد وختمها في هذه المرحلة الصوفية والأخيرة بالجهاد، في مجال أعظم (جهاد النفس)تمتاز هذه المرحلة حيث أنها أطول المراحل التاريخية لتصوف الأمير، وأغنى مراحل تصوفه من ناحية النتاج الأدبي والفكري، كما أنه في هذه المرحلة تم له الفتح العظيم[2].

المراحل التاريخية لتصوف الأمير عبد القادر تدرجت في سماء المعرفة الإلهية لتنتج لنا مجاهدا صوفيا بمعنى الكلمة يتمتع بكل روح وقلب صوفيا بشتى مميزاته من قوة وشهامة وروح لحب بلده والدفاع عنها بكل الوسائل والقوى المتاحة له.

التصوف[3] عند الأمير يرتبط بجهاد النفس وتطهيرها وجهادها في سبيل الله وإدخال النفس تحت الأوامر الإلهية فالأمير دائما هو الفارس الذي يخوض المعارك في الخارج مع العدو وفي الداخل مع النفس الأمارة[1].

---

[1]أحمد كمال الجزار، المفاخرة في معارف الأمير الجزائري عبد القادر والسادة والأولياء الأكابر، 1998، ص37.

[2]فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا، ص ص 133-134.

[3]التصوف: التخلق بالأخلاق الإلهية، قيل إن التصوف مأخوذ من الصفاء وهو محمود في كل لسان وضده الدور وهو مذموم في كل لسان، رفيق المعجم، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ت: علي دحروج، دار النشر ناشرون بيروت، لبنان، ج1،1996، ط1، ص ص 456-457.

الأمير عبد القادر يربط التصوف بطهارة ونقاء النفس أو الروح ومن أراد أن يحظى بالتصوف في نظر الأمير عليه أن يسير تحت ووفق الأوامر الإلهية فبهذا المقصود يكون التصوف توجيه النفس وحضورها دائما مع الله والسير وفق أمره دون مخالفة أمر تحت كل ظرف.

الصوفية في نظر الأمير هم الذين عليهم: "أن يكونوا في جميع أحوالهم وتصرفاتهم، حاضرين مع الله يوجه الأمير تحذير للصوفي الذي يجاهد نفسه بالرياضيات الشاقة لأجل طلب جاء عند الملوك، أو لصرف وجوه العامة إليه، أو حصول غنى، أو نحو ذلك من الحظوظ النفسية"[2].

الأمير ينظر إلى المتصوفة أنه عليهم أن يكونوا حاضرين مع الله والجهاد في سبيله دون تحيز أو نظر لأمور أخرى تختص بالغنى أو الملوك مهما كانت صفتها فالصوفي هو الذي يمنح قلبه وعقله لله دون إتباع النفس وشهوتها لأي أمور دنيوية كانت.

أطلق الأمير على الصوفيين العديد من الألقاب منها أهل الله والعارفون، (يصل إلى أن الصوفية هم سادات طوائف المسلين)

مفهوم التصوف عند الأمير أنه:جهاد النفس في سبيل معرفة الله عن طريق الرياضات الشاقة،والعبادة الخالصة لله والحضور الدائم مع الله في كل حالات[3].

المتصوفة حاضرين مع الله لمدى تقربهم من الله وتعلقهم به لذلك أطلق عليهم اسم أهل الله، والعارفون لقوة معرفتهم لأمور متعلقة بالله.

---

[1]بركات محمد مراد، الأمير عبد القادر المجاهد الصوفي، ص56.

[2]فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا، ص115

[3]المرجع نفسه، ص116

المبحث الأول: المقامات والأحوال

1/المقامات عند الأمير: فالمقام هو ما يتحقق به العبد بمنازلته من الأدب، يوصل له من خلال التصوف لا يمكن الانتقال من مقام لمقام أخر ما لم تتوفر أحكام ذلك المقام، والمقام هو الإقامة، كالمدخل بمعنى الإدخال، والمخرج بمعنى الإخراج[1]، حيث أن الأمير لم يعرف المقامات والأحوال ويتحدث عنها كشأن المؤرخين في تاريخهم بل خبر المقامات والأحوال، وعانا من تجربته معها معاناة المجرب، ومارسها تطبيقا أكثر من قولا فحياة الأمير جامعة المقامات والأحوال، سنتعرف على المقامات حسب ترتيب الطوسي في كتابه اللمع في التصوف[2].

1/مقام التوبة:قال تعالى:{ وَتُوبُواْ إِلَى اَللهِ جَمِيعًا أَيُّهَ اُلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[3]

أعتبر الأمير أن مقام التوبة هو «الأساس لسلوك الطريق، والمفتاح للوصول لمقام التحقيق، فمن أعطيه أعطى الوصول، ومن حرمه حرم الوصول"[4]

فالأمير يؤكد على باب التوبة بمثابة المفتاح للمقامات الأخرى التي تليه فمن فاز بالمقام الأول سوف يتسنى له الوصول إلى آخر الطريق لأن مقام التوبة هو أساس هذا الطريق وبدايته ومن تبع وأخذ مقام التوبة أخذ مسلك باقي الطرق ومن حرم من باب التوبة حرم منه الوصول إلى باقي المقامات والوصول إلى طريق العبادة والسعادة.

---

[1]ابي القاسم عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية في علم التصوف، ت: معروف مصطفى زريق، المكتبة العصرية بيروت، ط1، 2001، ص 56.

[2]بركات محمد مراد، الأمير عبد القادر المجاهد الصوفي، ص69

[3]سورة النور، الآية 31

[4]بركات محمد مراد، الأمير عبد القادر المجاهد الصوفي، ص69

التوبة أول منزل من منازل السالكين، وأول مقام من مقامات الطالبين في اللغة هي الرجوع، تابا يعني رجع الرجوع من المذموم إلى المحمود قال صلى الله عليه وسلم:"الندم توبة"[1]

يقول الغزالي في هذا الباب:"التوبة عن الذنوب بالرجوع إلى ستار العيوب وعلام الغيوب، مبدأ طريق السالكين، ورأس مال الفائزين، وأول إقدام المردين،ومفتاح استقامة المائلين، ومطلع الإصطفاء والإجتباء للمقربين"[2]

فالأمير لم يختلف عن الغزالي حول تعريف التوبة حيث اعتبرها الأساس لسلوك الطريق ومفتاح الوصول لمقام التحقيق نفس الشيء بالنسبة للأمير الذي اعتبرها المفتاح الذي من خلاله يصل إلى المعرفة الصوفية، لأن مقام التوبة هو الطريق الأول ومفتاح الطريق الذي يسلكه المتصوفة وهذا ما أكدته صحة النصوص السابقة.

كما أن التوبة مردها إلى الله مصداقا لأقواله تعالى، التوبة ذات مقام عالي حث الله تعالى عليه في كتبه ودعا إليها كل من أتبع كتبه ورسله وهي من أرفع الدرجات لأنها تفتح للإنسان باب التقرب من الله والابتعاد عن الأخطاء والرذائل كما أنها تمنحه فرصة الرجوع لله والندم والخروج من الذنوب التي ارتكبها فقد فتح الله على عباده بهذا المقام لتكون لهم فرصة القرب بين الله والعبد.

2/مقام الورع[1]:الورع أن يمتنع المريد عن كل حرام، ويتعفف عن كل شبهة، إذا تشابه الأمر عليه، ولم يستطيع أحد أن ينقذه من حيرته فليستفت قلبه[2]

---

[1]أبي القاسم عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية في علم التصوف، ت: معروف مصطفى زريق، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 200، ص20

[2]أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج4، ص03

قال إبراهيم ابن أدهم: الورع ترك كل شبهة، وترك مالا يعنيك هو ترك الفضلات[3] يقصد بذلك الخروج والابتعاد عن الشبهات ومحاسبة النفس عن الأخطاء والابتعاد عن الأشياء الغير معنية، مقام الورع مقام شريف، قال صلى الله عليه وسلم: "ملاك دينكم الورع "وأهل الورع علا ثلاث طبقات: منهم من تورع عن الشبهات التي اشتبهت عليه، وهي ما بين الحرام البين والحلال البين، ومالا يقع عليه اسم حلال مطلق ولا إسم حرام مطلق، فيكون بين ذلك فيتورع عنهما[4]

3/مقام الزهد: يبدأ طريق الصوفية بالزهد[5] يقول الغزالي: "الزهد في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين، وينتظم هذا المقام من علم وحال وعمل كسائر المقامات".

ومن علامات الزهد عنده أن يكون أنسه بالله تعالى والغالب على قلبه حلاوة الطاعة، إذ لا يخلو القلب عن حلاوة المحبة إما محبة الدنيا وإما محبة الله من علامات الزهد استواء الفقر والغنى والعز والذل والمدح والذم ذلك لغلبة الأنس بالله،وقيل علامته أن يترك الدنيا كما هي فلا يقول ابني رباطا أو عمر مسجدا[6]

كان الأمير عبد القادر زاهدا ورعا[7] الزاهد لا يفرح بموجود في الدنيا ولا يأسف على مفقود منها[1]قال تعالى: {لِكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَى ما فاتكم، وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَاكُمْ}[2]

---

[1]الورع هو اجتناب الشبهات خوفا من الوقوع في المحرمات، وقيل هي ملازمة الأعمال الجميلة، الجرجاني، التعريفات، ط1، ص 211

[2]فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا، ص140

[3]أبي القاسم عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، ص110

[4] أبي نصر سراج الطوسي، اللمع في التصوف، ت: عبد الحليم محمود، دار المكتب الحديثة، مصر، ص70

[5]عبد الفتاح احمد فؤاد، فلاسفة الإسلام والصوفية، 288

[6]أبي حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ص ص 1581-1599

[7]نزار إباضة، الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1،1994، ص31

الزهد مقام شريف وهو أساس الأحوال الرضية والمراتب النسية، وهو أول قدم القاصدين إلى الله عزوجل، والمنقطعين إلى الله، والراضين عن الله، والمتوكلين على الله تعالى، فمن لم يحكم أساسه في الزهد لم يصح له شيء مما بعده، لأن حب الدنيا رأس كل خطيئة، والزهد في الدنيا رأس كل خير وطاعة[3]، فالأمير عبد القادر عاشا زاهدا حيث أثبت بسلوكه الأخلاقي أنه مثال الشخصية، المصلحة التي لا تطمح إلى بناء الدولة، لم يهتم الأمير بهذه الدنيا لأنه تربى على قناعة تامة بأنها فانية لهذا لم يحب الثروة والغنى في جهاده نظرته للمال خاصة لغايات الخير التي سمح بها الدين عاش حياته ببساطة[4]، الأمير لم تلهه الأمور الدنيوية عن طاعة الله حيث أنه عاش زاهدا ولم يهتم لأمر الدنيا تربى بقناعة أن الدنيا فانيا وإخضاع القلب لأمور الله تعالى والابتعاد من أمور الدنيا لأنها لابد ومن زوالها .

بمعنى أن الزهد عند الأمير إخضاع القلب لله و الزهد في الأمور التي منحه الله إياها، ذات يوم من رجوع الأمير من غارة منتصرة على العدو وجد خيمته أهله في زينة لاستقباله فلما رأى ذلك قال: "إن هذه الخيمة ليست لي وهذه المرأة ليست زوجتي ولم ينزل عن جواده حتى نفذوا رغبته وأزالوا مظاهر تلك الزينة"[5]

ورد الزهد في القران الكريم مرة واحدة في سورة يوسف، قال تعالى: {وَشَرَوْهُ بِثَمَنِ بَخْسٍ دَرَاهِم مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّاهِدِينَ}[6]

---

[1]أبي القاسم عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، ص112

[2]سورة الحديد، الاية23

[3]الطوسي، اللمع في التصوف، ص72

[4]عائشة بن ساعد، البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر الجزائري، ناصر الدين سعيدون، قسم التاريخ، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر،2003 /2004، ص70

[5] المرجع نفسه، ص70

[6]سورة يوسف، الآية 20

4/مقام الفقر: مقام الفقر من المقامات التي تحدث عنها أغلب الصوفية حيث يعرفه الغزالي:"عبارة عن فقد ما هو محتاج إليه"[1].

قال الرسول صلى الله عليه وسلم في الفقر:"الفقر أزين بالعبد المؤمن من العذار الجيد على خد الفرس"، الفقر الصوفي يتضمن انعدام الرغبة في الأمور الدنيوية، والرغبة في الله على أنه الغاية الوحيدة المرغوب فيها[2]

5/مقام الصبر: الصبر مقام شريف وقد مدح الله تعالى الصابرين وذكرهم في كتابه قال تعالى: {إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ}[3]

أسر الأمير بفرنسا وصبره على المحن والشدائد في الأسر تعبير عن مقام الصبر[4]

فالأمير كان صبورا للمحن والشدائد والابتلاءات التي أصابته حيث يقول:"دخلت مرة خلوة (...)ضاقت عليا الأرجاء وفقدت قلبي"[5]

أصاب الله الأمير بهذا الابتلاء ليعرف مدى صبره حيث أن الأمير كان صبورا علا المشقات والابتلاءات التي أصابته.

يقول الغزالي:"الصبر مقام من مقامات الدين ومنزل من منازل السالكين" والصبر خاصية الإنس[6]

الأمير يدعو إلى التحلي بالصبر على المحن والشدائد وكل ما يصيب الإنسان من ابتلاءات والمداومة على الصبر لأنه بعده يأتي الفرج كما نلاحظ مما سبق مدى

---

[1]أبي حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ص1542

[2]فؤاد السيد صالح، الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا، ص 141

[3]سورة الزمر، الآية 10

[4]بركات محمد مراد، الأمير عبد القادر المجاهد الصوفي، ص69

[5]فؤاد السيد صالح، الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا، ص132.

[6]أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ص1542

أهمية واهتمام الأمير بمقام الصبر وتجلي قوة الأمير بالصبر على ما مر به من محن ومصائب في حياته.

6/مقام التوكل[1]: هو استسلام السالك استسلاما تاما لمشيئة الله، كما أثر الصوفية في الإسلام بقولهم بالتوكل حتى طبعوه بطابعه وهو ما يسمى بالاستسلام أو الجبر الإسلامي[2].

يرى الأمير أن التوكل: "هو الثقة والطمأنينة لا ترك الأسباب مع الشك والاضطراب فليس هذا من التوكل المطلوب في الشيء" بل هو تواكل إذا"لو كان ترك السبب والحركة توكلا للزم إذا وضع الخزر بين يدي هذا المتوكل أن لا يتناوله إلى فيه، فإن هذا سبب وحركة لوصل الخرز إلى بطنه" الأمير هنا يتطابق مع المعنى الحقيقي للحديث الشريف الذي يطلب فيه صلى الله عليه وسلم، من المؤمنين أن يعقلها ثم يتوكل[3]، عليه الأخذ بالأسباب بأقصى قدر مستطاع، ثم يترك النتائج على الله تعالى، قال تعالى: {وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَلِ اَلْمُؤْمِنُونَ}[4]

وقد أختلف الناس في مفهومهم للتوكل لارتباطه بالسبب كما يرى الأمير أنهم على ثلاثة أقسام:" متسبب صرف نظره مقصورا على السبب وقوته وضعفه فهو أعمى ومتوكل صرف معرض عن الأسباب ظاهرا وباطنا، وهو صاحب حال لا يقتد

---

[1]التوكل الأخذ بالأسباب ظاهرا و الإعتماد على الله باطنا، فمن اعتمد على الأسباب فقد عطل القدرة، ومن ترك الأسباب فقد عطل الحكمة فلا بد بالأخذ بالأمرين، أحمد كمال الجزار، المفاخر في معارف الأمير الجزائري عبد القادر والسادة والأولياء الأكابر، ص50

[2]فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا، ص ص141-142

[3]بركات محمد مراد، الأمير عبد القادر المجاهد الصوفي، ص69

[4]سورة ال عمران، الآية 160

به، ولا يحتج عليه ومتسبب بظاهرة، متوكل بباطنه، يد في السبب، وقلبه متعلق بخالق السبب، ظاهر لظاهر وباطن لباطن، هذا هو الكامل الناظر بعينين"[1]

نلاحظ هنا أن الأمير تأثر بأبي حامد الغزالي حيث أنه أول من تكلم عن التوكل وقانون السببية، فتوكل الأمير هنا هو مقام المتسبب ظاهريا والمتوكل باطنيا، أي ظاهره يوحي بتعلقه بالأسباب، وباطنه يوحي بخالق الأسباب[2]

يقول الغزالي في التوكل:"هو في نفسه غامض من حيث العلم وشاق من حيث العمل، ووجه غموضه من حيث الفهم أن ملاحظة الأسباب والاعتماد عليها شرك في التوحيد والتثاقل عنها طعن في الشرع، والاعتماد على الأسباب من غير أن ترى أسباب تغيير في وجه العقل[3]

فالأمير ينظر للتوكل: هو ارتباط واستسلام الأمور بنية القلب لله أي ارتباط الأمور والتوكل باطنيا لله.

يبدو لنا مفهوم التصوف العملي والجهادي عند الأمير،ليس التصوف عنده تواكلا، وتكاسلا، وتخاذلا، بل التصوف عنده فتوة ومرابطة وجهاد في سبيل الله، لأن:"مقام التوكل هو معطاة الأسباب مع الاعتماد على الله"[4]

7/مقام الرضا: الرضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا،وهو أن يكون قلب العبد ساكنا تحت حكم الله عزوجل[5]، أي أن الإنسان عليه أن يكون راضيا بأمر الله تعالى

---

[1]بركات محمد مراد، الأمير عبد القادر المجاهد الصوفي، ص ص69-70

[2]المرجع نفسه، ص70

[3]أبي حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ص1601

[4]فؤاد السيد صالح، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا، ص150

[5]الطوسي، اللمع في التصوف، ص80

ويكسب قناعة بما أعطاه الله ورضا بأمر الله ويكون قلب العبد متضمنا تحت أمر الله وحكمه في كل الحالات والمواقف التي يعيشها الإنسان.

ذكر الله في كتابه العزيز أن رضاه عن عباده أكبر من رضاهم عنه يقول تعالى: {وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ أَكْبَرُ}[1]

قال ذو النون المصري[2]عن الرضا: هو سرور القلب بمر القضاء[3] بمعنى يكون القلب راضيا ولو بمرارة قضاء الله وقدره لأن الرضا هو القناعة بما يمنحه الله للعبد مهما كانت قيمته.

يقول الغزالي في الرضا: أنه ثمرة من ثمار المحبة، ومن أعلى مقامات المقربين[4]فالرضا من أنواع المحبة وضمن أعلى المقامات التي تترك الإنسان يقترب بطريقة أخرى من ربه وهو أخر وأعلى مقامات المقربين من الله تعالى ويصنف آخر المقامات حيث أنه تترجح بعده الأحوال،أحوال الصوفية.

2/<u>الأحوال</u>:إنها التسميات التي تهب على السالك فتنعش بها نفسه لحظات خاطفة ثم تمر تاركة عطرا تشوق الروح لعودته[5]، كما ورد في الرسالة القشيرية أن الحال معنى

---

[1]سورة التوبة، الآية72

[2]ذو النون المصري: وهو أبو الفيض–ذو النون ثوبيان بن ابراهيم المصري كان ابوه نوبيا، كان ذو النون رجلا نحيفا تعلوه حمرة، وليس بأبيض اللحية، أبي القاسم عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية في علم التصوف، ص433

[3]فؤاد سيد صالح، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا، ص142

[4]أبي حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج2، ص1809

[5]صالح الرقب، دراسات في التصوف والفلسفة الإسلامية، قسم العقيدة، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، ط2، 2008، ص75.

يرد على القلب، من غير تعمد،قال أحد المشايخ: الأحوال كالبروق، فإن بقيت فهي حديث النفس،وقالوا أيضا الأحوال كاسمها يعني أنها كما تحل بالقلب تزول[1].

فالأحوال تهب كالبرق تخطف الأنفاس وتنعشها حيث تبقى تاركة خلفها أثر تشتاق الروح لنسمته وتأتي على القلب تاركة أثر التعلق الرباني المتعلق بالنفس السالكة للطريق الموصل للنفحات والمحبة الربانية

إذا أحكم السالك عدة مقامات وكان مخلصا في توبته تبدأ ترد على قلبه التجليات الروحية ويترقى في معارج الروح عن طريق "الحال"فتتوارد على الصوفي كثير من الأحوال كالبسط والقبض والمحبة لا حول فيها لإرادة السالك، هي منح ربانية ترد على قلب السالك دون اكتساب منه[2] سنعرج على ما يتعلق بأحوال الأمير عبد القادر ونذكر منه: حال القرب وحال المحبة وحال المشاهدة كونها أكثر الأحوال بروزا في تصوف الأمير[3]. بحيث أتصف الأمير بصفاة حميدة وتجلى فيه روح المقامات والأحوال الموصلة للقرب من الروح والرب المنتظر هذا النوع من الأرواح الصوفية السالكة لشتى طرق المعرفة.

1/2 حال القرب[4]: "والقرب من الحق–تعالى–قرب معنوي"[5]أي التقرب من الله اقتراب معنوي يقترب الصوفي بذاته من ذات الله تعالى، أي اتحاد المرء مع الله والاقتراب من الله ذات القرب التام.

---

[1]أبي القاسم عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية في علم التصوف، ص57.

[2]بركات محمد مراد، الأمير عبد القادر المجاهد الصوفي، ص71.

[3]فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا، ص150

[4]القرب هو القيام بالطاعة بمعنى القرب من الله، محمد شريف الجرجاني، كتاب التعريفات، ص288.

[5]بركات محمد مراد، الأمير عبد القادر المجاهد الصوفي، ص71.

يصف الأمير عبد القادر الصوفية أو أهل الله بأنهم:"القريبون من الله–تعالى– القرب المعنوي، المقربون عنده...الملبون دعوته، المستجيبون إلى طاعته...الداعون إلى معرفته وتوحيده إلى طريق الصوفية، أهل الحقيقة والسلوك والأحوال...وقطع عقبات النفوس، وطي المقامات إلى الذروة العليا"[1]

يبين الأمير أن الصوفية أو كما يسميهم أهل الله أي القريبون من الله بأنهم هم الأقرب إلى الله، في كل العبادات والطاعة والداعون إلى معرفة الله لسلك طريق رباني صحيح والعمل بالمقامات لدرجة عليا، هم فقط من يمكنهم استطاعة سلك هذا الطريق. والقرب عند الأمير قربان:

1/1/2 قرب النوافل:أن يشهد نفسه حال العبادة، وفي غيرها من سائر الأفعال و الإدراكات أنه بالله، بمعنى أن يشهد الحق تعالى فلا يرى فعلا له ولا لغيره والإدراك بالله، سمي هذا قرب النوافل وهو ثابت قربا ووجدانا[2]

يرى الإنسان نفسه في حالة عبادة وطاعة ثابتة لله في كل حالاته الإدراكية يرى نفسه تسوقوه إلى الله سبحانه تعالى والتقرب إلى أقصى الحدود من الله، وتكون حينها كل أفعاله و سلوكاته لا تخرج عن غير الله تعالى وهذا ما يعرف بتقرب النوافل.

قال صلى الله عليه وسلم عن ربه: "ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلى من أداء ما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به..."[3]

---

[1]المرجع نفسه، ص71

[2]عبد الوهاب بالفراس، الحدث التاريخي في اللحظة الصوفية، عبد اللاوي محمد، قسم الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، 1011/2010، ص117

[3]الأمير عبد القادر، المواقف الروحية والفيوضات السبوحية، ج1، 254

الله يحب تقرب عبده منه بالطاعات والنوافل فإذا أحبه الله أصبح الله كل شيء بالنسبة لعبده وأصبح العبد تحت أمر من الله وطاعة تامة لا يتخللها انحرافا عن عبادة الله.

2/1/2 قرب الفرائض: مستوى من القرب أعلى من النوع السابق، "في هذا المقام يشهد العابد نفسه وقواه الباطنة وأعضاءه الظاهرة، آلة الحق–والحق–تعالى–المصرف لها، المؤثر بها فيسمع بسمع العبد، ويبصر ببصره، ويتكلم بلسانه، إلى أخر الإدراكات"[1]

قرب الفرائض أعلى درجة من قرب النوافل والأقرب منه إلى الله تعالى بحيث تكون قوى الإنسان آلة الحق أي يكون تأثر الإنسان وقربه من الله أكثر من المرة السابقة في قرب النوافل

ومن الطبيعي أن: " من كان قربه قرب النوافل فهو قريب، ومن كان قربه قرب الفرائض فهو أقرب"[2]

أي قرب الفرائض هو الأكثر تقربا لله من قربا النوافل وهذا أمر طبيعي لأن قرب الفرائض هو الأكثر درجة من قرب النوافل وأعلى منه ترتيبا.

ومن هنا كلما تدانت الديار بين الأمير وبين المحبوب، زاده هذا القرب أشجانا وأحزانا، فلا القرب يشفي، ولا البعد ينسي وكلما ازدادا قربا من المحبوب الأول، زاده هذا القرب عطشا إلى المعرفة الإلهية.

---

[1] بركات محمد مراد، الأمير عبد القادر المجاهد الصوفي، ص72

[2] فؤاد سيد صالح، الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا، ص151

يقول الأمير[1] في وجده قائلا:

وإن قلت يوما قد تدانت ديارنا

لأسلو عنه، زادني القرب أشجانا

فما القرب لي شافا ولا البعد نافع

وفي قربنا عشق، دعاني هيمانا

فالأمير يبين أن القرب هو عشق للقلب لا مفر منه وهذا القرب الإلهي زاده حبا للمعرفة الإلهية لا يمكن الابتعاد عنها فأصبح لا شفاء من القرب ولا منعة من البعد لأنه تهور من قرب الله ولا يمكن للبعد أن ينسيه هذا القرب من الله فأصبح ما عليه إلا بالقرب من المحبوب الأول والاقتراب منه كل القرب

2/2 حال المحبة: المحبة غليان القلب وثورانه عند العطش، والاهتياج إلى لقاء المحبوب، كما أنها اسم لصفاء المودة[2]، فالمحبة تعبير لصفاء القلب والاشتياق إلى المحبوب، تقول رابعة العدوية في هذا: "ما عبدته خوفا من نار، ولا حبا في جنته، فأكون كالأجير السوء، بل عبدته حبا وشوقا إليه"[3]، تعبير على أن الحب لله يكون حب خالص من الخوف وترجي الجنة بل حب لذاته، وإخلاص لله تعالى تكون علاقة حب بين الله والعبد وشوقا للمحبوب في ذاته ورؤيته

[1]بركات محمد مراد، الأمير عبد القادر المجاهد الصوفي، ص ص72-73

[2]أبي القاسم عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، ص320

[3]عبد الفتاح أحمد فؤاد، فلاسفة الإسلام والصوفية وموقف أهل السنة منهم، ص289

يملأ قلب الأمير معرفة الله، هاما في حب الله عرف حلاوة ونعمة هذه المحبة الإلهية لا يمكنه الإبتعاد عنها فأشعلت فيه نار الشوق لمعرفة الحبيب[1]

فالأمير لا يمكنه الإبتعاد عن محبة الله التي ملأت قلبه شوقا وحنين وأشعلت في قلبه نار الحب الإلهي ذلك لطعم حلاوة ومذاق هذا الحب إنها محبة ملكت قلبه محبة أشغلته وشغلت كل مواطن قلبه لم تترك فراغ إلا وكان فيه حب لله.

يقول الأمير في المحبوب: [2]

عن الحب مالي رمت سلونا

أرى حشو أحشائي من الشوق نيرانا

لواعج لو أن البحار جميعها

صببن لكان الحر أضافا ما كان

فلو أن ماء الأرض طرا شربته

لما نالني ري وزلت ظمآنا

المحبة عند الأمير عبد القادر مراتب وأعلاها درجة محبة الله للمجاهدين الذين جاهدوا الجهاد الظاهر، والجهاد الباطن في سبيل معرفة الحبيب الأول[3]

---

[1] فؤاد سيد صالح، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا، ص50

[2] فؤاد سيد صالح، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا، ص152

[3] العربي دحو، ديوان الشاعر الأمير عبد القادر الجزائري، ت: العربي دحو، دار النشر للثقافة العربية منشورات ثالة الجزائر العاصمة، ط3، 2007، ص116

فالمحبة عنده مراتب ودرجات أعلاها وأفضلها محبة الله للمجاهدين الذين منحوا أرواحهم وأنفسهم في جهاد محبة ومعرفة الله وتلهف بذلك أرواحهم لاشتياق الحبيب ورؤية الحبيب الأول.

يقول الأمير:" فأي منقبة أعظم ومكرمة أفخم من محبة الله–تعالى–للمجاهدين، وهي محبة خاصة بالمجاهدين لها آثار في الدنيا والآخرة، كما أن محبة المجاهدين له–تعالى–محبة خاصة زائدة على محبة المؤمن غير المجاهد لظهور آثار المحبة من الجانبين "[1]

كما ورد تفضيل الله للمجاهدين في القران الكريم، قال تعالى:" فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بَأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً" وقال تعالى: {فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى اَلْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمَا}[2]

فالمجاهدين الذين جاهدوا بأموالهم وأولادهم منحهم الله حبا عظيما كما أنهم منحوا الله حبا فوق حبهم وعبادة في أمره فالأمير عبد القادر أيضا منح وأولى محبة الله للمجاهدين درجة أولى ومرتبة كبرى.

3/2 حال المشاهدة: هذه حال شريفة يتحقق بها من يقوم بالمجاهدات الصوفية فيتحقق لهم نوع من اليقين وهذا الحال من المشاهدة قد حققه الأمير بعد أن مارس فنون المجاهدة، المشاهدة تحقيق الإيمان بالمعاينة[3]

---

[1]بركات محمد مراد، الأمير عبد القادر المجاهد الصوفي،ص84

[2]سورة النساء، الآية94/4

[3]بركات محمد مراد، الأمير عبد القادر المجاهد الصوفي، ص75

فهذا الحال لا يصل إليه إلا من كان قريبا أشد القرب من الله وتوفرت فيه مراتب ومستويات كالمجاهدة أو الكشف، طرق مؤدية للوصول إلى الله والترقي في المقامات وكسب حب الله.

المشاهدة هي درجة عبادة الله بالإحسان، لذلك لا يطمئن الأمير، " الاطمئنان الكامل إلا بالشهود " وهذه الحالة هي النوع الثالث من أنواع الهدى، التي أطلق عليها إسم"الأعظم هدى"[1]، بحيث لا ينال هذه المرتبة "إلا الذي حصلت له الهداية بالكشف والعيان"[2]

المشاهدة أن تتولى أنوار التجلي على قلبه من غير أن يتخللها ستر ولا انقطاع[3].

[1]المرجع نفسه، ص75

[2]فؤاد سيد صالح، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا، ص152

[3]أبي القاسم عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، ص75

المبحث الثاني: الكشف

اعتبر الأمير كباقي المتصوفة أن الكشف هو المنهج والطريق لمعرفة الله تعالى.

الكشف: هو بيان ما يستتر على الفهم فيكشف عنه للعبد كأنه رأي عين[1]

يعرف الكشف في اصطلاح الصوفية: بأنه الاطلاع على ما وراء الحجاب[2]من المعاني الغيبية، وهو غير متاح للعامة، يقتصر على الصفوة، كما يطلق على المعرفة الكشفية عدة أسماء كالمعرفة الذوقية أو اللدنية[3] أو العيان[4]

أي الكشف هو: عملية معرفة وبحث في الأمور الغير معروفة، لا يملك كل الأشخاص المعرفة الكشفية بل يملكها النخبة من الصوفية فقط إلا أن الصوفية أطلقوا العديد من المعاني، على العملية الكشفية، ليصل من خلاله إلى الأمور المستترة فتصبح ترى كأنها تشاهد باللعين.

كما يقال عند الصوفية كشف عنه الحجاب أي حجاب الظلمة مكاشفة، لا بعين البصر، لكن بعين البصيرة، فالكشف الحق الذي لا يعارض الكتاب والسنة، والمريد[5]

---

[1]سراج الدين الطوسي، اللمع في التصوف،ص422

[2]الحجاب: وردت في القران الكريم بمعنى الستر والمنع، والصوفية يستخدمون كلمة الحجاب بمعاني متعددة، فيقال مثلا أن هذا الصالح أو هذا المريد الصادق قد كشف عنه الحجاب، أي رفع عنه حجاب الدنيا، وبدت التجليات، وأصبح من أصحاب المكاشفات، حسن الشرقاوي، معجم الألفاظ الصوفية، ص242

[3]العلم اللدني، مأخوذة من قوله تعالى: «وعلمناه من لدنا علما «سورة الكهف، الآية 65، هو العلم الذي ينفتح في القلب من غير سبب مألوف من خارج، حسن الشرقاوي، معجم الألفاظ الصوفية، ص65

[4]عبد الفتاح أحمد فؤاد، فلاسفة الإسلام والصوفية وموقف أهل السنة منهم، ص275

[5]المريد هو: طالب الحقيقة يجاهد يكابد ويكافح، في سلوك السبيل المستقيم، قائم بأمر الله، يتقرب إلى الله، حسن الشرقاوي، معجم الألفاظ الصوفية، ص264

الصالح هو الذي يدع الكشف، ويتمسك بالكتاب والسنة وإذ لم يوافق الكشف الشريعة فلا ينبغي العمل به وهذا رأي الصوفية[1]

على حسب نظر الصوفية أن الكشف الصحيح لا يعارض ما أتت به الكتب والسنة والشخص الصالح هو الذي يهب عليه الكشف ويتمتع بهذه النعمة الكشفية والكشف يكون بالبصيرة تقذف في قلب المريد وليس البصر الذي يرى به وأن كان الكشف يخالف السنة والكتاب فهذا غير صحيح ولا يمكن العمل به.

فالأمير عبد القادر يرى أن:"الكشف عبارة عن إخماد القوى البشرية، ونزع الصفات البدنية المذمومة، ثم محاذاة شطر الحق باللطيفة الربانية لينكشف الحجاب وتظهر أسرار العوالم، والعلوم واضحة للعيان، وهو العلم الإلهامي الذي يحصل بالتصفية، والباعث على هذه المجاهدة طلب المعرفة برفع الحجاب والمشاهدة في الحياة الدنيا"[2] يرى الأمير أن الكشف عبارة عن سلب كل صفة مذمومة من الإنسان ورفع الحجاب عن الأمور الغير واضحة، ذلك لمعرفة أسرار العوالم وهو نفسه نفس العلم الإلهامي الذي يصيب الله به عبده ورفع درجة الحق من خلال اللطيفة الربانية.

يسمى كشفا واطلاعا، فهو ذو مراتب تختلف وتتفاوت بتفاوت الصفاء والتخلص من الكدرات، فمبدؤها المحاضرة وهو أخر مراتب الحجاب وأول مراتب الكشف ثم بعدها المشاهدة، أقصى مراتب الكشف وأعلاها هي رتبة المشاهدة، وهي المعرفة بالله وصفاته وأفعاله وأسرار ملكوته[3]

---

[1]المرجع نفسه، ص242

[2]فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا، ص154

[3]ابن خلدون، شفاء السائل وتهذيب المسائل، ت: محمد مطيع الحافظ، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص ص69-70

الكشف مراتب مختلفة حسب صفات الشخص ودرجات التعلق الرباني في قلبه حيث يمنح الكشف على حسب تفاوت هذه الرتب، الحجاب هو أولها حيث يقوم بنزع هذا الحجاب لدخول لعملية العلم الكشفي وتتسنى له أعلى هذه المراتب وهي المشاهدة لمعرفة الله وصفاته المعرفة الربانية والإلهية.

الكشف وقف على صاحبه السالك فحسب، لأنه هو فقط يعيش حالة الكشف ومن أراد تحقيق الكشف عليه أن يسلك الطريق الصوفي الكشف لا يعرفه إلا من نازل الأحوال وحل المقامات، لا يصل للكشف من خلال العلم ولا بقراءة القران وكتب التفسير ،لكن بسلوك طريق خاص من خلال تقديم المجاهدة ومحو كل ما هو مذموم وقطع كل علائق الدنيا وتفريغ القلب من شواغله والإقبال على كنه الله تعالى[1]

الكشف لا يحظى به كل الأشخاص يحققه فقط من سلك الطريق الصوفي ووهبه الله نعمت الكشف أو الإلهام الرباني بعد سلك الطريق الصعب الشيق في المجاهدات.

كذلك من أراد الكشف عليه بالخلوة في بيت مظلم مع توحيد العزيمة ودوام المواظبة على هذا دون فتور ويجب على السالك أن يقطع الهمة عن الأهل والمال والولد والوطن، إذا واظب على هذا الحال تولى الله أمره وفاضت عليه الرحمة وأشرق النور فيه وأنكشف له سر الملكوت و أنقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة وبالكشف يحقق الصوفي رؤية الله تعالى بالأبصار بعد طول العناء[2]

[1]صالح الرقيب، دراسات في التصوف والفلسفة الإسلامية، قسم العقيدة، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، ط2، 2008، ص24

[2]المرجع نفسه، ص24

يقول الغزالي: إن المعرفة الكشفية أداتها القلب ومنهجها الكشف، التي تأتي من داخل القلب بعد إزالة كدرة المعاصي ورفع حجب الشهوات[1]

وقد أكد الأمير بأن الكشف يحصل لنوعين الناس هم الأولياء والأنبياء ويرى أن الكشف الذي يحصل لهم كشف صحيح لا شك فيه ولا ريب.

يقول الأمير:"أعلم أن كشف الأنبياء–عليهم الصلاة والسلام–صحيح حق لا شك فيه، وكذا مرائهم، فإن رؤيا النبي وحي وكذا كشف كمل الأولياء (...)فكشف الأنبياء وكمل الأولياء حق صدق لا يدخلك فيه شك ولا ريب"[2]

فالمعرفة الكشفية تحصل لنوعين من الناس بطبيعة الحال هم الأقرب لطاعة الله، وقلوبهم معلقة به هم الأنبياء والأولياء يحصل لهم الكشف الحق الذي لا يتخلله شبه أو شك حول ذلك.

كما يرى الأمير أن معرفة الله لا تكون عن طريق القلب ولا عن طريق العقل بل عن طريق الكشف من الله تعالى، الذي يكون عن طريق القلب، ذلك بتصفية القلب من مختلف الشوائب عن طريق الرياضات والابتهالات الروحية.

يقول الأمير:"أعلم أن القلب–أعني قلب العارف بالله–هو رحمة من الله، وهو أوسع منها، فإنه وسع الحق جل جلاله (...)إذ لا تكون المعرفة به تعالى إلا بمعرفته، لا بحكم النظر العقلي (...) ليس المراد بالقلب في الحديث الرباني اللحم الصنوبي

[1]عبد الفتاح محمد سيد أحمد، التصوف بين الغزالي وابن تيمية، دار الطباعة للنشر والتوزيع، ط1، 2000، ص121

[2]الأمير عبد القادر، المواقف الروحية و الفيوضات السبوحية، ص ص241–424

الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر، إنما المراد اللطيفة الربانية الروحانية لها بهذا القلب الجسماني[1]

فالأمير في جل مؤلفاته الشعرية أو النثرية منها يؤكد ذلك انتصارا للقلب على العقل لتأكده أن المعرفة القلبية تكون عن طريق القلب أوسع من المعرفة عن طريق العقل يقول الأمير حول ذلك:

جعلت عقلك هاديا ونور هدا

أضلك العقل أين انت في تلف[2]

فالصوفية يرفضون العقل، ولا يعترفون إلا بالكشف وسيلة وأداة معرفية بها ترفع الحجب عن الذات العارفة، لإدراك الحقائق الإلهية من مصدرها مباشرة ودون واسطة، وإقامة عالم ذاتي بعيد المنال يتجلى بطريق الكشف الباطني بعد إيصاد منافد الحواس جميعا وتعطيلها لإقامة صلة من الحب بينهم وبين ربهم[3]

الأمير في مجاهداته لا يسمي الأشياء بأسمائها التقليدية بل يجد لها أسماء جديد تناسب الحالة الروحية التي عايشها، وأعتبر أن الكشف يحصل للنوع الثالث من أنواع المتصفين بالهدى،" النوع الأول هو المهتدي الذي حصل على الهداية بالدليل العقلي

---

[1] المصدر نفسه، ص359

[2] الأمير عبد القادر، ديوان الشاعر، ص127

[3] قرين جميلة، الحقيقة الصوفية بين العقل والكشف، قسم الأدب العربي، كلية الأدب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة(الجزائر)، ع6، 2010، ص ص15-16

والبرهان والنوع الثاني الأهدى هو الذي حصل على الهداية بتصديق الرسول والإيمان والنوع الثالث هو الأعظم هدي هو الذي حصلت الهداية بالكشف والعيان"[1]

فالنوع الثالث هو الأعظم هدي هو الذي يحصل له الكشف، فالكشف من أعلى المراتب ويحصل للأكثر كمال لهذا سمى الأعظم هدي.

فالأمير يعتبر مجاهدتا التقوى و الإستقامة مرتبة ثانية مرتبة الأهدى أي مرتبة الإيمان الوسطى[2]

فالأمير يبين مدى قيمة المجاهدات عنده حيث أنه في المرتبة الثالثة الأعظم هدي هي التي يحصل فيها الكشف وهي أعظم المجاهدات بالنسبة للأمير حيث أن مجاهدات التقوى والاستقامة بمثابة قواعد يصل منها إلى الأعظم هدي أي الكشف.

كما حذر الأمير من كشف العلوم التوحيدية التي هي ثمرة المجاهدات والمكابدات ويرى أنه يجب أن تبقى سر بين العبد وربه ويعلل ذلك بقوله:"في إذاعة أسرار الربوبية لغير أهله ضرران: ضرر راجع إلى المذيع، وضرر راجع إلى المذاع إليه، فالمذيع ربما رمي بالكفر والزندقة، وربما أفض الأمر إلى قتله، وربما وصل الشر على أصحابه ومن ينتسب إليه، والمذاع إليه ربما أفتتن أو حار أوفهم الأمر على غير وجهه فضل"[3]

المكاشفات ثمرة التجربة الصوفية، إذا كانت التجربة الحسية مستمدة من الحس والعلوم العقلية مستمدة من العقل فإن المعرفة الكشفية مستمدة من التجليات الإلهية،

---

[1]فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا، ص157

[2]المصدر نفسه، ص158

[3]محمد مراد بركات، الأمير عبد القادر المجاهد الصوفي، ص83

فهي علوم تلقي في القلب إلقاء لا يستدل عليها العقل ولا الفكر تأتي نتيجة مجاهدة السالك تكون بعد قطع مراحل كثيرة في الطرق الصوفية.

غاية الأمير من علم المكاشفة تكمن في حبه وطموحه للوصول إلى المعشوقة التي تحدث عليها يقول:"إن في الوجود معشوقة غير مرموقة، الأهوية إليها جانحة والقلوب بحبها طافحة، والأبصار إلى رؤيتها طامحة، يطير الناس إليها كل مطار ويرتكبون الأخطار...ولا يصل إليها إلا الواحد بعد الواحد"[1]

معرفة الأمير معرفة صوفية منهجها الكشف للوصول لمعرفة الله والقلب هو الأداة التي يصل من خلالها إلى هذه المعرفة الإلهية عن طريق الكشف كباقي الصوفية الآخرين.

[1]فؤاد السيد صالح، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا، ص160

المبحث الثالث: اليقين

هدف كل من يريد أن يصل المعرفة إسلاميا كان أو غربيا هو الوصول إلى معرفة يقينية خالية ولا ينتابها الشك والظن، كشأن المتصوفة الذين يطمحون إلى معرفة أشد يقينيا للوصول إلى المعرفة الإلهية لتحقق السعادة والطمأنينة والسكينة.

1/مفهوم اليقين: هو العلم الذي لا شك معه[1]، أيقن الأمر إيقانا وهو إزاحة الشك وتحقيق الأمر[2]، يقن، اليقين، العلم و إزاحة الشك، وقد أيقن، يوقن إيقانا فهو موقن، واليقين نقيض الشك، والعلم نقيض الجهل، تقول علمته يقينا[3]

قال أحمد بن عاصم الأنطاكي[4]:"إن أقل اليقين إذا وصل إلى القلب يملأ القلب نورا، وينفي عنه كل ريب، ويمتلئ القلب به شكرا، ومن الله تعالى خوفا"[5]، وقال سهل ابن عبد الله:"اليقين من زيادة الإيمان،ومن تحقيقه، وقال أيضا: اليقين شعبة من الإيمان، وهو دون التصديق"[6]

اليقين من شعب الإيمان يغرس في القلب النور واليقين يزيل الشك من القلب، وينفي كل ريب.

---

[1]شريف الجرجاني، معجم التعريفات، ص217

[2]محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت. لبنان، م10، ط3، 1971، ص953

[3]ابن منظور، لسان العرب، ج28، ص22

[4]أحمد ابن عاصم الأنطاكي: هو أبوعلي–احمد بن عاصم الأنطاكي: من اقران بشر بن الحارث، المحاسبي وكان يسميه ابو سليمان الدرداني يسميه (جاسوس القلوب) لحدة فراسته قال: إذا طلبت صلاح قلبك (فاستعن عليه بحفظ لسانك)، القشري، الرسالة القشيرية، ص394

[5]عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية في علم التصوف، ص178

[6]المرجع نفسه، ص179

اليقين أصل جميع الأحوال وإليه تنتهي جميع الأحوال، وهو آخر الأحوال، وباطن جميع الأحوال، وجميع الأحوال ظاهر اليقين، ونهاية اليقين تحقيق التصديق بالغيب بإزالة كل شك وريب، ونهاية اليقين الاستبشار[1]

فاليقين هو أصل ومصدر أي تنبع منه جميع الأحوال وتنتهي إليه، وآخر اليقين هو إزالة الشك والريب والقضاء عليه، وكل الأحوال هي ظاهر اليقين.

يقول ابن عربي:"إن اليقين مقر العلم في الخلد" وهو: "ما يكون الإنسان فيه على بصيرة سواء حصل المتيقن أو لم يحصل"[2]

يقول ابن عربي:

فإن تزلزل عن حكم الثبات فما

هو اليقين الذي يقوى به خلدي[3]

الصوفي يأتي فهمه لليقين من خلال مكاشفاته الوجدانية ومقاماته التي يمر بها من خلال تجربته الذاتية المتصلة بالكون والبعد الباطني معا[4]، قالتعالى: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}[5] يقول الأمير المقصود باليقين هنا هو الكشف[6]

---

[1]سراج الدين الطوسي، اللمع في التصوف، ص102

[2]محي الدين ابن عربي، كتاب اليقين، ت: سعيد عبد الفتاح، ص21

[3]ابن عربي، كتاب اليقين والمعرفة، ص27

[4]يوسف محمود محمد، أسس اليقين في الفكر الديني والفلسفي، دار الحكمة للنشر، الدوحة، ط1، 1993، ص49

[5]سورة الحجر، الآية99

[6]الأمير عبد القادر، المواقف الروحية و الفيوضات السبوحية، ص

الصوفي يحظى بثمرة اليقين من خلال المجاهدات التي يقوم بها فيقذف الله في قلبه ذلك النور بواسطة الكشف أو الفيض ليعلم مدى وقيمة الطريق الصعب الذي سلكه للوصول إلى هذه الهبة الربانية.

2/ أنواع اليقين: اليقين يأتي للإنسان من خلال المعرفة التي يحصل عليها وهو استقرار وثبوت في المعنى في النفس يكون في البدء علم اليقين ثم يفتح الله بصيرة العبد ليعلم علة ذلك بإعلام من الله فيكون حق اليقين[1]: علم اليقين، عين اليقين، حق اليقين، لليقين ثلاثة أنواع عند جميع الصوفية وهي:

1-علم اليقين: النوع الأول مذكور في القران الكريم لقوله تعالى: {كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ} [2]

علم اليقين هو ما أعطاه الدليل الذي لا يحتمل الشبه الواردة من الخاطر[3]، وهو العلم اللدني أو العلم الإلهي الذي لا شك فيه ولا ريب ومنحة ربانية يحظى به الصالحون عن طريق الإلهامات والتجليات والفتوحات والكشوفات والفيوضات وهذا العلم سر الأسرار، ويودعه الله قلب عبده المخلص، علم وهبي وسيلته البصيرة العلم الوهب علم يقيني وهو هبة أو منحة يهبها الله لمن يشاء من عباده. [4]

فعلم اليقين علم وهبي يهبه الله لعباده الصالحين الذين اتصفوا بالمجاهدات أمثال الصوفية والذين أتبعوا طريق الله عن جدارة يأتيهم اليقين من حيث لا يدرون عن طريق الكشوفات أو الفتح أو الإلهام يهب الله عباده الصالحين علم اليقين كفيض لنور قلوبهم

---

[1] ميسون مسلاتي، قراءة معاصرة لأفكار ابن عربي، ص51

[2] سورة التكاثر، الآية 05

[3] يوسف محمود محمد، أسس اليقين، ص50

[4] حسن الشرقاوي، معجم الألفاظ الصوفية، ص289

2-عين اليقين: كما أن هذا النوع أيضا ذكر في القران الكريم قال تعالى: {ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ اَلْيَقِينِ}[1]، يرى أئمة الصوفية أن عين اليقين هو العلم اللدني ذاته، أو الهبة الربانية وعين اليقين واردة في القران الكريم بنفس المعنى[2]

لا تصح المعرفة بالله لأحد حتى يتعرف عليه ويعرفه بظهوره فيبصره من القلب بنور اليقين[3]، أي أنه لا يمكن لأحد معرفة الله حتى يبصره بظهوره ورؤيته من خلال اليقين الذي منحه إياه

3-حق اليقين: هو منتهى غاية الواصلين للعلم الإلهي، هو الصدق الذي يشهده السالكين في المقامات العليا، ويراه الشيخ الأكبر هو ما حصله المريد الصالح حسب إخلاصه وطاعته وحسب ما قدر له الله أن يعاين من العلوم الإلهية[4]

فحق اليقين هو الصدق الذي يشهده السالكين في أكبر المقامات و مجاهاتهم وما حضي به المريد لقوة إخلاصه وطاعته لله وحسب ما منحه الله من العلوم الإلهية

وهو ما حصل من العلم، بما لا أريد له ذلك المشهود أي ما أتي من العلم بالعلة ولكن بعد عين اليقين[5]

يتضح لنا مما سبق ذكره أنه لا طريق لمعرفة الله إلا من خلال العلوم التي مصدرها القلب التي لا دخل فيها للعقل والحس لأنهما لا يمكنهما الوصول لمعرفة الله لأنه عالي عنهما كل العلو، يتم معرفته من خلال القلب فقط لأنه خالي من كل شك وريب ومن كل الشوائب.

---

[1] سورة التكاثر، الآية 07

[2] حسن الشرقاوي، معجم الألفاظ الصوفية، ص290

[3] يوسف محمود محمد، أسس اليقين ص50

[4] حسن الشرقاوي معجم، الألفاظ الصوفية، ص 90

[5] محمود محمد، أسس اليقين ص 50

وهذا يتم تحقيقه من خلال المقامات والأحوال التي سبق ذكرها الكشف واليقين هما الطريق الموصل لهذه المعرفة الربانية التي يريد كل متصوف أن يحظى بها، التي هي مبادئ الصوفية والطريق لمعرفة الله تعالى والذين أنعهم الله بسلك ذلك الطريق والوصول إلى السعادة بتحقق الكشف ورفع الحجاب ويحظى باليقين ويصل إلى أعلى درجة ألا وهي المعرفة الإلهية.

الفصل الثالث: مرتكزات المعرفة في وحدة الوجود عند الأمير عبد القادر

المبحث الأول: أصل الوجود عند الأمير

المبحث الثاني: الخيال والبرزخ

المبحث الثالث: الإنسان الكامل

المبحث الأول: وحدة الوجود

علم التوحيد مباين لوجوده، ووجود التوحيد مباين لعلمه، فالتوحيد بداية، والوجود نهاية، والوجود واسطة بينهما[1]، إن عقيدة وحدة الوجود هي من بعض وجوهها ترتيب نسبي لعلاقة المخلوق مع الخالق، إذ بحسبها، أن العبد والمعبود ماهية واحدة من حيث الترابط ألسببي والعضوي، ذلك أن الورقة ليست الشجرة، ولكنها جزء منها وليست زائدة عنها[2]، كما قرر متصوفة الإسلام أن الكائنات كلها مظهر لعلم الله وإرادته وفيضا من الله مباشرة، ووجدها مستمد من الله عزوجل، ولا موجود بذاته ولذاته إلا الله الواجب الوجود، فهو موجود بنفسه دون حاجة إلى أي موجود آخر وعنه صورت الكائنات الأخرى، فالله هو الوجود كله[3]، يرى الأمير أن العالم قائم بنفس الله (بفتح الفاء) فالوجود قائم بذات الله، وهو الوجود الذات الحق، ولا تفاوت في الوجود، الوجود الذي به العرش المحيط موجود، الاختلاف في الموجودات راجع لاختلاف حقائق الممكنات، ليس ذلك لاختلاف في الوجود، ولا ثمة وجودات متعددة، فإنه أول ما صدر عن الواحد الحقيقي، ولا يصدر عن الواحد الحقيقي إلا واحد، وصدوره ليس عن طريق الخلق والإيجاد من العدم، إنما ذلك عن طريق الظهور من الغيب إلى الشهادة[4].

قال تعالى: {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيءٍ إِذَآ أَرَدْنَاهُ أَنْ نَّقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}[5]

فلا يرى ابن عربي ثمة غير الله، فالحق تعالى هو وحده الموجود، فالله هو الأول والظاهر والباطن: وهو عين ماظهر وما بطن، فهو الظاهر لنفسه، والباطن عن

---

[1] شريف الجرجاني، معجم التعريفات، ص209

[2] عشراتي سليمان، الأمير عبد القادر المفكر، ص134

[3] الصاوي الصاوي، الفلسفة الإسلامية (مفهومها وأهميتها ونشأتها وأهم قضاياها)، ص79

[4] الأمير عبد القادر، المواقف الروحية والفيوضات السبوحية، ص ص508-509

[5] سورة النحل، الآية40

نفسه، فإن شئت قلت هو الحق، وإن شئت قلت هوالخلق' مصداقا لقوله تعالى: {هُوَ الأَوَّلُ وَالآخَرُ والظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ}[1]، الله هو الأول لم يسبقه ولم يله أحد في الوجود هو الواحد الأحد.

يقول ابن عربي في هذا السياق: " إله متصوفة وحدة الوجود جميعا، فلا صورة تحصره، ولا عقل يحده أو يقيده لأنه المعبود على الحقيقة في كل ما يعبد، المحبوب على الحقيقة في كل مايحب(...) وكل من عبد غير هذا أو أحب غيره فقد جهل حقيقة ما عبد وما أحب "[2]، ويقول أيضا: " حكم وقدر أزلا أنكم لا تعبدون غير الله مهما تكن صور معبوداتكم "[3].

فأهل السنة والجماعة يؤمنوا بأن الله تعالى مباين لخلقه، لا يشبهه شيء من المخلوقات، متصف بصفات الكمال، ومنزه عن النقائص[4]، الوجود ليس جزءا من ماهية الشيء إلا بالنسبة للبارئ جل شأنه الذي لا ينفصل وجوده عن ذاته، فالإله الوجود عرض من أعراض الذات، ذلك لأن الموجود، إن كان علة ذاته، والواجب الوجود بذاته، وإن كان معلولا لغيره، فوجوده مستمدا من غيره وليس جزءا من ذاته، وليس ثمة إلا الله الذي هو واجب الوجود بذاته[5]

---

[1]سورة الحديد، الآية3

[2]محي الدين ابن عربي، فصوص الحكم، ش: عبد الرزاق القاشاني، دار أفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2016، ص32

[3]المرجع نفسه، ص33

[4]عبد الفتاح أحمد فؤاد، فلاسفة الإسلام والصوفية وموقف أهل السنة منهم، ص281

[5]إبراهيم مذكور، في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، دار المعارف القاهرة، ج2، د.ط، 2003، ص177

يقول الأمير في كتابه المواقف: "أن الله تعالى حذر عباده وأراحهم من طلب ما حصوله محال[1]، قال تعالى: {وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ}[2]، وأمرهم بطلب ما حصوله ممكن، وهو علم مرتبة ذاته وهي الألوهية[3].

قال تعالى: {وَلِيعْلَمُوا إِنّما هُوَ إِلهٌ وَاحِدُ}[4]، يقول الأمير: "ومنها "العرش" الذي استوى عليه الرحمن لأنه مظهر لجميع الأسماء وجمال جلاله، فاستوى عليه_تعالى_كما يعلم هو، ومنها "مراه الحق" لأنه تعالى شاء أن يرى ذاته ظاهرة له ، فظهر بنفسه في صورة العقل الأول(...)فظهر كل ما في الصورة الإلهية في تلك المرآة التي هي نفس الحق _تعالى"[5]، ومنها "المادة الأولى" لأنه أول مخلوق تبين من الغيب، وتفصل منه جميع ما في العالم الكبير والصغير من جماد وحيوان ونبات وإنسان ومنها "الفيض الأول" لأنه تعالى أبرزه من حضرته قبل كل شيء وأفاضه على عين كل شيء، فظهر كل شيء ممتد منه، بسبب فيضانه عليه، ومنه نفس الرحمان[6]، قال تعالى: {وَنَفَخْتُ فِيْه مِنْ رُوحِي}[7].

---

[1]الأمير عبد القادر، المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد، ص597

[2]سورة آل عمران، الآية30

[3]الأمير عبد القادر، المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد، ص598

[4]سورة إبراهيم، الآية58

[5]الأمير عبد القادر، المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد، ص629

[6]المصدر نفسه، ص630

[7]سورة الحجر، الآية39.

المبحث الثاني: الخيال والبرزخ

1/الخيال في اللغة: بمعنى الصورة التي ترى في الحلم أو تتخيل في اليقظة[1]، وهو ما يرى في النوم من شخص أو صورة، أو اليقظة ما يتخيله الإنسان كما في المنتخب، وعند الحكماء يطلق على إحدى الحواس الباطنة وهو قوة تحفظ الصورة المرتسمة في الحس المشترك إذا غابت تلك الصورة عن الحواس الباطنة[2].

فالخيال: هو الصورة التي لاحقيقة لها، وظل كل شيء وجمعه أخيلة[3]،

الخيال: صورة تمثال الشيء في المرآة، وما تشبه لك في اليقظة والمنام من صور، كما أن الخيال هو الضن والتوهم،[4] وهو قوة تحفظ ما يدركه الحس المشترك من صور المحسوسات بعد غيبوبة المادة بحيث يشاهدها الحس المشترك كلما التفت إليها، فهو خزانة للحس المشترك، ومحله مؤخر البطن الأول من الدماغ[5]،

الخيال عند الصوفية: هو الوجود، لأن الناس كما قيل نيام، لا يرون في هذه الدنيا إلا خيالا، فإذا ماتوا انتبهوا، وكل من تجلى عليه الحق فعرفه أدرك أن هذا العالم المحسوس خيال نائم[6].

يقول المتصوفة أيضا بأن: الخيال أصل الوجود والذات الذي فيه كمال ظهور المعبود، فعلم أن الخيال أصل جميع العوالم لأن الحق هو أصل الأشياء، وذلك

---

[1]معين زيادة، الموسوعة الفلسفية العربية، ص415

[2]محمد علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات العلوم والفنون، 717

[3]محمد فريد وجدي، دائرة المعارف القرن العشرين، دار المعرفة بيروت، لبنان، ص799

[4]جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ص546

[5]شريف الجرجاني، معجم التعريفات، ص90

[6]جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ص547

المحل هو الخيال، فثبت أن الخيال أصل العوالم بأسرها، يقولون أيضا: إن الخيال هو عالم المثال، وذلك هو البرزخ بين عالم الأرواح والأجسام[1]

الخيال عند الشعراء: هو إيراد ألفاظ مشتركة تشتمل على معنيين، أحدهما حقيقي والثاني مجازي، والمراد منهما هو المجازي، وشرط أن يكون مجازا اصطلاحيا مع إيراد لطيفة أو مثل، وكل منهما شامل لمعنيين أحدهما حقيقي والآخر مجازي والمراد منهما هو المجازي بينما يتطرق الخيال للحقيقي، أي أنه من جهة تشاهد صورة المعنى ومن جهة أخرى يبدو الخيال، والمعنى منهما هو المراد[2].

يرى ابن عربي أن الدنيا خيال: "نبه على أن كل مايراه الإنسان في حياته الدنيا إنما هو بمنزلة الرؤيا للنائم: خيال"[3]، ابن عربي:

إنما الكون خيال

وهو حق في الحقيقة

والذي يفهم هذا

حاز أسرار الطريقة

فعالم الخيال شأنه شأن كبير عند أهل الله، وحضرة الخيال تشبه الآخرة لحد كبير، ومن دخلها من العارفين عرف حقيقة الجنة والنار والحشر والحساب[4].

يقول الأمير حول الخيال: "إنما سمي بالخيال لأن كل شيء ظهر فيه فهو ظاهر، بخلاف ماهو عليه، فكل شيء وصف بالوجود فهو لا هو، فالعالم لا هو،

---

[1]علي محمد التهانوي، كشاف إصطلاحات الفنون والعلوم، ص768

[2]المرجع السابق، ص ص768-769

[3]محي الدين ابن عربي، فصوص الحكم، دار الآفاق للنشر والتوزيع، 2016، ص159

[4]أحمد كمال الجزار، المفاخر في معارف الأمير عبد القادر والسادة والأولياء الأكابر، ص45

والحق الظاهر بالصورة هو لا هو، فتحكم عليه بالجمع بين الضدين حكما صادقا"[1]،كما يقول الأمير حول الخيال موضحا بقوله: "من هنا تعرف قول سادتنا أهل الله، فالعالم كله خيال، لا يريدون أنه عدم محض، كما تقول السفسطائية، أو أنه لا وجود له إلا في الخيال المتصل، كما توهم ذلك كثير من الجهلاء، بطريق أهل الله، كابن خلدون في مقدمته للتاريخ الكبير، وإضرابه، فرد عليهم بجهل، إنما مراد أهل الله أن العالم في حقيقة الأمر على خلاف ما تدركه مدارك الجمهور فإن ظاهره خلق وباطنه حق، فالعالم كالخيال الذي يجده كل عاقل من نفسه، فإن لكل إنسان خيالا، هو شعبته من الخيال الذي وجد فيه العالم[2].

لما أنشأ الله الصورة الإنسانية كانت بمثابة مدينة، أنزل فيها الروح، وجعل بمثابة الخليفة، يقول الأمير حول الخيال بالنسبة لروح الإنسان عن الله تعالى يقول الأمير: "ثم بنى له في مقدم ذلك المتنزه خزانة سماها الخيال، جعلها تعالى مستقرا، وخزانة للمبصرات والمسموعات والمشمومات والمطعومات والملموسات وما يتعلق بها، ومن هذه الخزانة تكون المرائي التي يراها النائمون، وهي خزانة واسعة جدا، وفيها من الأمور العظام وخرق العادات ما لا يوجد في هذه الدار، وفيها توجد المحالات العقلية كقيام الأعراض بأنفسها، وحياتها لأنفسها ونطقها وإيراد الكبير على الصغير مع بقاء الكبير على كبره والصغير على صغره، وتكلم الجمادات ووجود الشخص الواحد في مكانيين، واجتماع الضدين وغير ذلك ما لا يتصور وقوعه في هذا العالم"[3]، يرى الأمير الخيال بنظرة أخرى على الخيال الموجود في هذا العالم لأن الأمور التي توجد في هذا الخيال هي مخالفة لما يوجد في هذا العالم.

---

[1]الأمير عبد القادر الجزائري، المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، 1966، ص635

[2]الأمير عبد القادر الجزائري، المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد، ص436

[3]الأمير عبد القادر، المواقف الروحية والفيوضات السبوحية، ص580

يحتل الخيال أهمية ومكانة كبيرة في فلسفة الأمير الصوفية، كمما هو الشيء بالنسبة لشيخه ابن عربي، على كل المستويات: الوجودية والشهودية، وما بينهما من اتصالوانفصال ومعرفية(...) هذا التواجد في كل شيء دفع إلى الاعتقاد بأن الكون كله خيال، وبأن الإنسان خيال أيضا، ويجمل ابن عربي أهمية الخيال فيما قاله[1]:

إن خيال الكون أوسع حضرة

من العقل والإحساس بالبذل والفضل

من خلال هذا يعطي أهمية كبيرة للخيال على الحواس والعقل.

<u>أنواع الخيال</u>: يميز الأمير بين نوعين من الخيال، الخيال المتصل وهو للعموم، والخيال المنفصل وهو للخصوص من الأكابر[2]، سنفصل في هذين النوعين فيما يلي:

1/الخيال المتصل: هو قوة الخيال المخلوقة في الإنسان، والتي يدخل بها حضرة الخيال المنفصل، يقول الأمير: "الخيال المتصل شعبة من الخيال المنفصل"[3]، يقول الأمير أيضا: "كذلك المسحور يدرك ببصره أمورا وصورا لايشك فيها ولا يرتاب، ولا وجودا لما أدرك إلا في خياله المتصل، فإن الساحر إذا أراد أن يظهر عند شخص أمر ما أمسك الساحر ذلك الأمر في خياله المتصل، وخطف بصر ذلك الشخص الذي يريد سحره بخاصية اسم أو بخاصية نفسية اكتسبها برياضة، ورد ذلك الشيء إلى خيال ذلك الشخص، فيراه في خياله، كما هو في خيال الساحر، هذا في

[1] ساعد خميسي، التأويل الأكبر بين الرمزية وقوة الخيال، جامعة قسنطينة 2، ص ص1-2

[2] الأمير عبد القادر، المواقف الروحية والفيوضات السبوحية، ص517

[3] أحمد كمال الجزار، المفاخر في معارف الأمير الجزائري عبد القادر والسادة الأولياء الأكابر، ص46

اليقظة، وكذلك النائم يرى أشياء لا تنحصر، وتكون حوله جماعة غير نائمين لا يرون شيئا مما رأى، فلا وجود لما رآه إلا في خياله المتصل"[1].

الخيال المتصل، بالرغم من أنه يظل لصيقا بالشخص أو الفاعل، يشكل هو أيضا جزء من أنماط الخيال المطلق، الذي هو الحضرة الجامعة والمرتبة الشاملة[2]

فالخيال المتصل هو المتصل بالإنسان، ولكنه يبقى جزء من الخيال المنفصل، ومن خلاله يدخل الإنسان عالم الخيال المنفصل.

يقول الأمير: "كنت بين النائم واليقظان فقيل لي: إن الناس يضنون أنهم في حالة النوم في حالة خيال وعدم، وفي حالة اليقظة في وجود وحق، وما يدريهم أنهم في الحالتين في خيال لا حقيقة، فإنهم في حالة النوم في خيال متصل، وفي حالة اليقظة في خيال منفصل، وحقيقة الخيال فيهما واحدة إذ الخيال المتصل شعبة من الخيال المنفصل، والخيال لا موجود ولا معدوم، ولا منفي ولا مثبت، وليس في الوجود الحق الثابت إلا الله عزوجل، والأرواح والأجسام خيال كلها"[3].

2/الخيال المنفصل:الخيال المنفصل هو خيال مطلق، وهو العماء المشكل للعالم بوصفه تجليا،وهو الذي يقوم بإنشاء الخيال المتصل وإدامته وتدبيره[4]، وكل صورة يرى الإنسان نفسه في النوم فيها، والصورة التي تنتقل أرواحنا إليها بعد الموت، فهي

---

[1]الأمير عبد القادر الجزائري، المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد، 635

[2]هنري كوربان، الخيال الخلاق في تصوف ابن عربي، تر: فريد الزاهي، منشورات مرسم الرباط، ط2، 2006، ص188

[3]أحمد كمال الجزار، المفاخر في معارف الأمير الجزائري عبد القادر والسادة الأولياء الأكابر، ص ص45-46

[4]هنري كوربان، الخيال الخلاق في تصوف ابن عربي، ص188

من صور هذا العالم، وكذلك أرض السمسمة التي ذكرها أكابر القوم هي من هذا العالم، لها من هذا العالم محل مخصوص من الخيال المنفصل، الذي هو العماء[1]،

يقول الأمير: "الخيال المنفصل هو الحضرة الجامعة، فهو حقيق أن يظهر فيه إلا المستحيل، فلهذا كان يزيفه ويرمي به العقل، لولا أن الشرع قرره وجاء بحكمه، يكثف اللطيف المطلق، ويلطف الكثيف المطلق، فإن الحق _تعالى_ يظهر فيه كثيفا، فإنه يظهر متجليا بالصورة الكثيفة(...) وهذا الخيال المطلق العماء البرزخ الذي وجدت فيه الموجودات والمتخيلات"[2]، فالخيال المنفصل كما يؤكد الأمير أنه: "الخيال المطلق المنفصل المحقق هو الوهم عينه، لا غيره، وليس هو الوهم الذي يقول الحكماء: أنه قوة تدرك المعاني المتعلقة بالمحسوسات(...) وإذا تحكم الخيال الطلق الوهم في إنسان وتسلطن واستولى عليه لايبقى عنده شيء مستحيل، لا عقلا ولا عادة، فلا يخيل شيأ في حق الحق تعالى[3]، الأمير يعتبر أن عالم المثال من أوجه الخيال المنفصل يقول حول ذلك: "في المرتبة الرابعة من المراتب الكلية، وهي مرتبة عالم المثال والخيال، وهي الصورة الجسدية الخيالية البرزخية، المركبة من الأجزاء اللطيفة، التي لا تقبل الخرق والالتئام، بمعنى انفتاح خرق فيها وسده، كما هو ذلك في الأجسام العنصرية، فهي في حقيقتها أجسام نورانية شعاعيه، تنفذ في الأجسام شعاع نفوذ الشعاع البصري والشمسي في الأجسام الشفافة، ولكنها تظهر للمدارك، ظهور الأجسام الكثيفة، تظهر في هذه المثالية الأرواح الملكية النورية، والأرواح الجنية النارية[4].

---

[1] الأمير عبد القادر، المواقف الروحية والفيوضات السبوحية، ص516

[2] الأمير عبد القادر الجزائري، المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد، 637

[3] المصدر نفسه،ص637

[4] المصدر نفسه، ص650

فالأمير يبين من خلال أقواله أن عالم المثال هو نفسه عالم المثل الأفلاطونية، حيث يؤكد ذلك بقوله: "هذا هو عند الحكماء والمتكلمين بالمثل الأفلاطونية، فإن الله كشف لهذا الإمام الإلهي، وأنكر ذلك المتكلمون قاطبة، وحتى قال سعد الدين التفتا زاني، عندما ذكر المثل الأفلاطونية لما كانت الدعوة عريضة، و الحجة ضعيفة لم يشتغل المحققون بردة[1]"

بناء على هذا يتضح أن الخيال المتصل عن الأمير يكون لعامة الناس، على خلاف الخيال المنفصل الذي هو للخصوص من الأكابر فقط هذا يوضح مدى وقيمة الخيال المنفصل.

كما يعتبر الأمير أن عالم المثال الخيال هو من أوجه الخيال المنفصل نفسه عالم المثل الأفلاطونية.

2/البرزخ: البرزخ في اللغة هو الحاجز الذي بين الموتى والأحياء، فهو الذي يمنع الموتى من الرجعة إلى الدنيا، وهذا البرزخ باق إلى يوم القيامة[2]، هو عبارة عن شيء حائل بين شيئين وما بين الدنيا والآخرة، وذلك زمان يقع بين الموت إلى حين النشور[3]، قال تعالى: {ومِنْ وَرَائِهِم بَرْزَخُ إلى يَوْمِ يُبْعَثُونْ}[4].

عرف ابن عربي البرزخ فقال: "أعلم أن البرزخ أمر فاصل بين معلوم وغير معلوم، وبين معدوم وموجود، وبين منفي ومثبت، وبين معقول وغير معقول، يسمى برزخا اصطلاحا، وهو معقول في نفسه، وليس ذاك إلا الخيال"[5]، فالإنسان نفسه برزخ بين المادة والروح، يجمع بينهما، والنفس الإنسانية برزخ بين الطبيعة والروح،

---

[1] المصدر نفسه، ص635

[2] حسن الشرقاوي، معجم الألفاظ الصوفية، ص71

[3] على التهانوي،موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ص322

[4] سورة المؤمنون، الآية100

[5] ساعد خميسي، التأويل الأمير بين الرمزية وقوة الخيال، ص11

والخيال برزخ بين الحس والمعنى، لأن الخيال بحسب المعنى[1]، حيث نلاحظ أنه يعتبر أن الانتقالات في الكون تتم دائما عن طريق البرزخ، أي أنالوسائط بين العوالم المختلفة_ مثل عالم الجبروت وعالم الملكوت وعالم الاستحالة_ هي برزخ لكل منهما، مثل البرزخ الذي انتقلت إليه نفوس البشر بعد موتها في انتظار البعث[2].

يقول الأمير: "كل شيئين متقابلين فلا بد أن يكون بينهما حاجز معقول يفصل بينهما، بحيث لا يختلط أحدهما بالآخر، يسمى برزخا، لايكون عينهما ولا غيرهما، وفيه قوتهما معا بمعنى أنه لا يكون عين كل واحد من المتقابلين من كلتي وجهتيه، بل له وجه إلى هذا ووجه إلى هذا، مع أنه لا يتجزأ ولا يتبعض، ولا ينقسم، يكون بين محسوسين، كالخط المعقول الفاصل بين الظل والشمس، وقد يكون بين معقول ومحسوس، وقد يكون بين موجود ومعدوم"[3].

أنواع البرزخ عند الأمير:

قسم الأمير البرزخ إلى أربعة مراتب سنذكر هذه المراتب كالتالي:

1/المرتبة الأول: "البرزخ المسمى بالخيال المنفصل، وبالخيال المطلق، وبالعماء وبالحق المخلوق به كل شيء، وهو البرزخ بين المعاني التي لا أعيان لها في الوجود كالعلم والثبات ونحوها وبين الأجسام النورية والطبيعة وفيه تظهر الصور المرئية في الأجسام الصقيلة مثل المرايا ونحوها(...) فالبرزخ العمائي هو الخيال،

[1] ميسون مسلاتي، قراءة معاصرة لأفكار ابن عربي، ص56

[2] المرجع نفسه، ص56

[3] الأمير عبد القادر الجزائري، المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد، ص527

والصورة المرئية فيه هي المتخيلات، وفي هذه المتخيلات ما يرى بعين الحس ومنه ما يرى بعين الخيال"[1].

هذا نوع الخيال المنفصل من أنواع الخيال التي وسبق ذكرها وشرحها عند الأمير سابقا الذي تميزت به هذه المرتبة.

2/المرتبة الثانية: "البرزخ المسمى بالخيال المتصل والخيال المقيد ويسمى بأرض السمسمة وأرض الحقيقة، وهو البرزخ الخيالي تظهر فيه الصورة الجسمانية الكثيفة التي تقبل التجرؤ والتبعيض والخرق والالتئام، وهي المركبة من العناصر صورا مركبة لطيفة(...) ومنشأ هذه المرتبة البرزخية الخيالية مقدم الدماغ، وهي التي تمسك صور المحسوسات عند غيبوبتها كما يرى الإنسان مثلا مدينة ثم يغيب عنها، فإذا تذكرها رآها كما كان رآها، فيظن أنه رآها في موضعها في غير هذه المرتبة الخيالية، وهو ماراها إلا في هذه المرتبة البرزخية الخيالية الدماغية، والفرق بين البرزخ المسمى بالخيال المنفصل والبرزخ المسمى بالخيال المتصل هو أن المتصل يذهب بذهاب المتخيل كما هو في أنواع السحر والسيميا، والخيال المنفصل لا يذهب بذهاب المتخيل له، فإنه حضرة ذاتية قابلة لتجسد الأرواح والمعاني دائما"[2].

3/المرتبة الثالثة: "البرزخ الخيالي النومي، وهو البرزخ بين الموت والحياة، فإن النائم لاحي ولا ميت بل وجه إلى الموت ووجه إلى الحياة،يرى الإنسان نفسه في مكان غير المكان الذي هو فيه، فهو في مكانين وهو هو لا غيره وأمثال هذا من المحالات المنامية"[3].

---

[1] المصدر نفسه، ص528

[2] الأمير عبد القادر الجزائري، المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد، ص ص529-530

[3] المصدر نفسه، ص530

في هذه المرتبة من البرزخ، يرى كل واحد أثناء نومه أشياء صعبة التحقق في الواقع، يرى نفسه كما ذكر الأمير في مكانين مختلفين عن بعضهما وهذا من المحالات يستحيل تحققه في اليقظة.

4/المرتبة الرابعة: "البرزخ الخيالي الذي تنتقل إليه أرواحنا بعد الموت الطبيعي وهو المسمى بالصور، قال تعالى: {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّور}[1]، فانه مثل المراتب المتقدمة في كون صوره خيالي، وكل ماندركه في البرزخ من نعيم لأهله وعذاب لأهله فإنما يدركونه بإدراكات هذه الصور البرزخية الخيالية"[2].

تعتبر المرتبة الرابعة أعلى مرتبة في البرزخ عند الأمير، لأنها مرتبة الحق، ومرتبة الدار الآخرة التي ستذهب إليها الروح بعد مفارقتها الجسد لتستقر هناك.

[1] سورة المؤمنون، الآية101

[2] الأمير عبد القادر الجزائري، المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد، 530

المبحث الثالث: الإنسان الكامل

يتكرر مصطلح الإنسان بكثرة في الكتب الصوفية والفلسفية منها، والدينية لكن الصوفية هم الأكثر استعمالا لهذا المصطلح، حيث أن الأمير عبد القادر شأنه شأن باقي الصوفية، فهو كذلك يستخدم مصطلح الإنسان الكامل، سنحاول التعرف على الإنسان الكامل وماذا يقصد به.

الإنسان الكامل:

قال بعض الصوفية: الإنسان هو هذا الكون الجامع، الإنسان الكامل الحقيقي هو واسطة بين الحق والخلق، وبمرتبته يصل فيض الحق، لفظ الإنسان الكامل فإنما أريد به محمد صلى الله عليه وسلم تأدبا لمقامه الأعلى[1]، هي بالأصل والذات لصاحبها أي لمحمد صلى الله عليه وسلم يصح أن نطلقها على المتحققين به، كمالهم ليس ذاتيا كالكمال المحمدي بل كمالا صفاتيا، إذ تطلق عبارة الإنسان الكامل فقط على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى من تماهى بالصفات المحمدية ونال الكمال تحققا وليس ذاتا[2].

يشرح الشيخ عبد الكريم الجيلي، فكرة الإنسان الكامل من مطلق فلسفي هو النبي محمد صلى الله عليه وخلفاؤه وهو في نظره مظهر من مظاهر الذات الإلهية[3]، لا يصل الإنسان إلى مرتبة الكمال إلا إذا اجتازا المراتب وصولا إلى مرتبة الأكملية

---

[1]محمد علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات العلوم والفنون، ت: علي دحروج، مكتاة لبنان ناشرون، ج1، ط1، 1996، ص281

[2]معين زيادة، الموسوعة الفلسفية العربية، مكتبة مؤمن قريس، م1، ط1، 1986، ص144

[3]ناجم مولاي، مفهوم الإنسان الكامل في الفكر الصوفي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة عمار ثليجي بالأغواط(الجزائر)، ع7، 2012، ص141

فيما يعرف عند القويني: بمعراج التحليل[1]، الإنسان الكامل اختص بما لم يختص به غير من الكمال[2].

الإنسان الكامل واسطة بين الحق والخلق وكماله ليس كمال صفاتيا بل كمال ذاتيا هذه الصفة تطلق على النبي أو الأولياء منهم كما يطمع الصوفية أيضا للتوصل إلى هذه المرتبة لأنها أعلى المقامات.

فابن عربي شيخ الأمير عبد القادر" هو أول من أدخل مصطلح الإنسان الكامل إلى الفكر الصوفي والعربي الإسلامي عامة (الكمال) الذي يوصف به الإنسان هنا لا يعني ما قد يتبادر إلى الذهن من مدلولات أخلاقية، من فضيلة وخير وما إلى ذلك، وإنما يتضمن في المقام الأول، مدلولات أنطولوجية(وجودية) ونظرية الإنسان الكامل، هي في الحقيقة، يمكن التمييز فيها بين جوانب رئيسية ثلاثة هي: أنطولوجي، كسمولوجي(كوني)، عرفاني(نبواتي)"[3]،

الإنسان الكامل عند صوفية الإسلام: "هو أعلى مقامات التمكين، التي يمكن أن يصل إليها السالك إذ أدام على سلوكه، فأدركته العناية، فاتصل، فإذا وصل الصوفي إلى تلك الغاية، كانت نفسه النفس الكاملة، وكان نور الحق العين التي يرى بها(...) تتناول نظرية الإنسان الكامل، حقيقة ذلك المقام الصوفي، الأعلى، الذي ليس بعده غاية"[4].

---

[1]معراج التحليل: اصطلاح فلسفي قصد به وصف الرحلة التي قطعها الأمر الإلهي المعنى بالكمال مرورا بالمراتب العلمية. إبراهيم إبراهيم، محمد ياسين، مدخل إلى التصوف الفلسفي، ص26

[2]إبراهيم إبراهيم ياسين، مدخل إلى التصوف الفلسفي، ص25

[3]ارثور سعدي يف، توفيق سلوم، الفلسفة العربية الإسلامية (الكلام والمشائية والتصوف)، دار الفارابي،بيروت. لبنان، ط1، 2000، ص336

[4]يوسف زيدان، الفكر الصوفي بين عبد الكريم الجيلي وكبار الصوفية، دار الأمين للطباعة، مصر، ط2، 1998، ص85

الإنسان الكامل هو أعلى المراتب لأنه يتميز بالمقامات والعناية الإلهية لا يعني به الإنسان الكامل أخلاقيا بل الكامل ذاتيا ويحتل المرتبة الأولى المقام الأول وغايته الغاية الكبرى التي ليس بعدها غاية أو مرتبة، التي يطمح كل صوفي الوصول إليها والفوز بها لتدركه العناية الإلهية من كل جوانبه.

الإنسان الكامل هو: "الجامع لجميع العوالم الإلهية والكونية الكلية والجزئية، وكونه روح العالم"[1]، يقول ابن عربي: "أعلم أن الإنسان الكامل هو الحضرة الجامعة الشاملة لجميع الأسماء الإلهية، كما أنه جامع لحقائق الأكوان كلها، يعلم كيفيات حركاتها وسكناتها، وأنفاسها وما يكون منها وعليها لأنها هو، وهو هي ، وبجمعيته للأسماء الإلهية كان له الحكم عليها والتصرف فيها وكان لها الانقياد إليه[2]، فالإنسان الكامل هو المريد الذي يصل إلى أعلى المقامات ويتميز بالصفة الجامعة الشاملة للصفات الإلهية التي ينعم الله بها عليه، فيعلم كيفيات حركاتها وأنفاسها وما إلى ذلك من الصفات الإلهية التي فاز بها فشخصية الإنسان الكامل تتجسد في المريد الذي ابتدعه الله وقادر على تخطي كل المحن والفوز بأعلى المقامات والمجاهدات، القادر على سلك الطريق الموصل إلى هذه الرتبة(الإنسان الكامل) التي لا تليها رتبة التي سيحظى بها العاملون عليها كالأنبياء والأولياء والصوفية أعلى رتبة حيث الكمال الذاتي.

فالأمير يرى أن الإنسان الكامل هو رب وعبد، عبد من حيث أنه مخلوق مكلف، ورب من حيث أنه خليفة، ومن حيث أنه خلق على الصورة الإلهية، فهو يلحق بالإله التحاقا معنويا، والعالم كله تفصيل ما أجتمع في الإنسان الكامل[3]

---

[1]شريف الجرجاني، معجم التعريفات، ص35

[2]ابن عربي، كتاب اليقين والمعرفة، ص308

[3]الأمير عبد القادر الجزائري، المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد، ص769

الأمير عبد القادر ذهب بعيدا في الحديث حول الإنسان الكامل، فكان يتجسد مثلا في تلك الأحوال من العظمة التي عبر عنها رفاقه من رجال الجهاد، كانوا بتضحياتهم الخارقة يمثلون الإنسان الكامل وبذل النفس نصرة للحق، كان مفهوم الإنسان الكامل من وجهة أخرى يجد تجسيده في شخص الأمير نفسه، إذ لا ننسى أن الأمير كابد من المحن ما لا يتصور، فقد بذل من التضحيات ملا يجحده جاحد[1]، يقول الأمير: "العرف الكامل هو الذي تظهر فيه صورة الحق _تعالى_ على الكمال، لأنه مرآة الحق" ويقول أيضا: "أن العارف خليفة الله، والخليفة لابد أن يكون ظاهر بصورة مستخلفة، وهي أسماؤه وصفاته(...) وهو الخليفة الكامل ولا يكون إلا واحدا في كل زمان، وهو الإنسان الكامل[2].

يظهر من هذا الإتقان في خاصية الجمع بين الحقائق الإلهية والكونية التي تتضمن جميع المزايا الأخرى(...) فالإنسان الكامل هو الجامع لجميع العوالم الإلهية والكونية، والكلية و الجزئية وهو كتاب جامع للكتب الإلهية والكونية[3]، كما أكد الأمير أن الإنسان الكامل: "هو الكون الجامع للحقائق الإلهية والكونية، فهو المثل الذي لا مثل له[4]"، ومن هذا فإن: "الإنسان الكامل الحقيقي هو البرزخ بين الوجوب والإمكان والمرآة الجامعة بين صفات القدم وأحكامه وبين صفات الحدثان، وهو الواسطة بين الحق والخلق، و به وبمرتبته يصل فيض الحق والمدد الذي سبب بقاء ما سوى الحق إلى العالم كله علوا و سفلا، ولو لاه من حيث برزخيته التي لا

---

[1] عشراتي سليمان، الأمير عبد القادر المفكر، ص13

[2] الأمير عبد القادر، المواقف الروحية والفيوضات السبوحية، ص66

[3] لطف الله بن عبد العظيم خوجة، الإنسان الكامل في الفكر الصوفي عرض ونقد، الفضيلة للنشر السعودية، ط1، 2009، ص150

[4] الأمير عبد القادر الجزائري، المواقف في التصوف الوعظ والإرشاد، ص570

تغاير الطرفين لم يقبل شيء من العالم المدد الإلهي الوحداني لعدم المناسبة والارتباط"[1].

"الإنسان الكامل برزخ، وواسطة بين الحق والخلق، فالفيض الإلهي يصل الخلق من خلاله، ووصول الخلق من خلاله إلى الحق والفناء فيه يكون من خلاله"[2]، كل التعريفات الصوفية لا تخرج عن هذا الإطار أي أن أهم ما يميز الإنسان الكامل عند الصوفية هو جمعه الحقائق الإلهية والكونية.

ويكون له وراء الوجود لذة سريانية تسمى له الألوهية، لا يعلم في الوجود غيره هويته، بحكم اليقين والكشف يشهد صدور الوجود أعلاه وأسفله، يرى متعددات أمر الوجود في ذاته، فإن هذا الجمع صيره في مقام الربوبية، حيث منه يصدر الوجود، وهو المتصرف فيه وهذا يعني منازعة الله تعالى في أخص خصائصه، وبعد هذا أجمل مراتب تدرج الإنسان في مقام الربوبية حتى بلوغه مرتبة التصرف والقدر[3]، حيث أكد "التهانوي" أن الإنسان الكامل ثلاثة برازخ وبعدها المقام المسمى بالختام،

"البرزخ الأول يسمى البداية وهو التحقيق بالأسماء والصفات، والبرزخ الثاني يسمى التوسيط هو الرقائق[4] الإنسانية بالحقائق الرحمانية، فإذا استوفى هذا المشهد علم سائر المتمكنات، واطلع على ما يشاء من المغيبات، والبرزخ الثالث هو معرفة التنوع الحكمية في اختراع الأمور القدرية، ولا يزال الحق يخترق له العادات بها في ملكوت القدر حتى يصير له خرف العوائد عادة في تلك الحكمة، فحينئذ يؤذن له بإبراز القدرة في ظاهر الأكوان، وإذا تمكن من هذا البرزخ حل في المقام المسمى

---

[1] محمد علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ص281

[2] لطف الله بن عبد العظيم خوجة، الإنسان الكامل في الفكر الصوفي عرض ونقد، ص ص147-148

[3] لطف الله بن عبد العظيم خوجة، الإنسان الكامل في الفكر الصوفي عرض ونقد، ص155

[4] الرقائق: الرقائق والدقائق واللطائف عبارة عما يغمض من حقائق العلوم والمعارف والأسرار. أيمن حمدي، فهرس المصطلحات الصوفية، ص24

بالختام"[1]، ليصعد الإنسان الكامل صاعدا درجات الرقي إلى علم تزكية النفوس، وعلم الكتاب والحكمة، وعلم الأسرار، وهو مالم يكن يعلم، فالإنسان الكامل لاتقف كمالاته عند حد، وكلما بلغ درجة من الكمال أشتاق إلى غيرها وهكذا...

فمن مقام الإحسان الكامل في الإسلام إلى الإيمان، فالإحسان، فاليقين، حتى يبلغ مقامات الرضوان[2]

فالغاية من الخلق هي وصول الإنسان الناطق إلى الكمال مستفيدا مما أعطاه له الله من قدرات ومن أسمائه الحسنى[3]، قال تعالى: {وَسَخّرَ لَكُمْ مَا فِي الْسَمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيْعَاً مِنْهُ}[4] فقوله تعالى (منه) أي من جهة الأسماء الإلهية[5]، ولما علم الإنسان الكامل أن العالم مسخر له علم فقره إليه، فلولا حاجته إليه ما سخر له، فقام له هذا الافتقار مقام الغني الإلهي العام، وبذلك تميز العبد عن الرب، إن كان ظلاله، فالعبد فقير دائما إلى الله الغني عن العالمين[6]،

الله خلق الإنسان وميزه في الأرض، وأعتبره بمثابة ظل له على وجه الأرض فالغاية من وجوده هي عبادة الله، الله خلق الإنسان وكل من على الأرض لعبادته وطاعته وتعظيمه جل جلاله.

للإنسان الكامل عدة خصائص ومزايا ينفرد بها نذكرها على النحو التالي:

1/الإنسان الكامل روح العالم

---

[1]محمد علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ص281

[2]لطف الله بن عبد العظيم خوجة، الإنسان الكامل في الفكر الصوفي عرض ونقد، ص157

[3]ميسون مسلاتي، قراءة معاصرة لأفكار ابن عربي، ص63

[4] سورة الجاثية، الآية13

[5]محي الدين بن عربي، كتاب اليقين وكتاب المعرفة، ص308

[6]ميسون مسلاتي، قراءة معاصرة لأفكار ابن عربي، ص ص63-64

2/الإنسان الكامل موجود على الصورة الإلهية، وهو مرآة الحق، يرى الحق نفسه فيه، وبه تعرف الحق إلى الخلق، وبدونه لا يعرف، لأنه على صورته، أزلا وأبدا

3/الإنسان الكامل له جانبان، إلهي وخلقي، له جميع الصفات الإلهية والكونية

4/الإنسان الكامل برزخ وواسطة بين الحق والخلق

5/الإنسان الكامل له أسماء كثيرة كل اسم يمثل جانبا من جوانبه المميزة[1]

فالإنسان الكامل هو برزخ وواسطة بين الحق والخلق وهو مرآة الحق كما يميزه جانب إلهي وخلقي، كما أنه يمارس وظيفة إيصال فيض الحق إلى الخلق والصعود بالإنسان إلى الحق ليفنى فيه، فكانت لهذه الواسطة بما لها من جمع الحقائق الإلهية والكونية القدرة على القيام بمهمة الخلافة[2].

[1] لطف الله عبد العظيم خوجة، الإنسان الكامل في الفكر الصوفي عرض ونقد، ص147

[2] المرجع السابق، ص149

خاتمة

خاتمة:.....

من خلال ما سبق التعرض إليه، تبين احتواء الأمير تجربته الصوفية على نظرية المعرفة، ليكون بذلك نظرية معرفية متكاملة، تحمل في طياتها بعد ابستمولوجي وأنطولوجي، ليشكل نظرية معرفية لا تقل شأنا عن نظرية المعرفة عند باقي المتصوفة.

فكان العقل هو الأداة التي يميز بها الإنسان بين الصواب والخطأ، كما أنه منبع العلم، بالإضافة أن الأمير قد اعتبر العقل أداة لقمع الشهوات، لإعتباره قوة من قوى النفس.

فيما يخص العلاقة بين العقل والحس، يؤكد أن المعرفة أن المعرفة التي يكتسبها العقل مصدرها الحس، إلا أن الأمير يبين أن المعرفة عن طريق العقل هي أشرف من المعرفة التي تكتسب عن طريق الحس لأن المعرفة الحسية معرفة ضنية.

ويؤكد الأمير أن المقامات والأحوال والكشف بمثابة طريق يمر به السالك لإدراك الحقيقة الإلهية، واعتبرها سبيل يتقرب بها العبد من ربه، ليتحقق له الكشف وهذا الأخير لا يتحقق إلا لخاصة من الناس، ويؤكد الأمير أن الكشف الصحيح هو المطابق للكتاب والسنة.

هذا الكشف من خلاله، يحقق العارف أعلى الدرجات وهي المعرفة اليقينية، التي لاشك ولا ريب فيها، يتم هذا من خلال التدرج في درجات اليقين من علم اليقين إلى عين اليقين إلى حق اليقين، لتكون بذلك المعرفة اليقينية هي الهدف الأساس لكل الصوفية.

كما تستلزم المعرفة الصوفية مجال تتجلى فيه كالخيال والبرزخ بمختلف أنواعهما، فتحقق بذلك لدى الإنسان الكامل الذي يتصف بالصفات الإلهية والكونية، وقد اعتبر

خاتمة:.....

الأمير عبد القادر أن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم هو الأحق بأن يطلق عليه اسم الإنسان الكامل لأنه توجد فيه كل صفات الكمال.

يمكن القول أن الأمير اكتشف نظرية معرفية صوفية تضاهي نظرية المعرفة الصوفية عند غيره من المتصوفة، الذين يقرون أن القلب أداة معرفية في مقابل الفلاسفة الذين يعتبرون أن العقل هو الأداة لذلك.

ومن هنا يمكن القول أن الأمير عبد القادر شخصية تستحق كل الاهتمام من قبل الدارسين لأنه تميز بكل قوة وجهاد، قد حان الأوان لإحياء شخص "الأمير عبد القادر" لتميزه بكل الشجاعة.

الفهارس:

-المصادر والمراجع.

-فهرس الآيات القرآنية.

-فهرس الأعلام.

-فهرس الموضوعات

فهرس المصادر والمراجع.

قائمة المصادر والمراجع:

1/ المصادر:

أ-القرآن الكريم (برواية ورش)

ب-مؤلفات الأمير عبد القادر

1-المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد، دار اليقظة للتأليف والترجمة والنشر، (د.ط)، 1966.

2-المواقف الروحية والفيوضات السبوحية، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ج2، ط1،2004.

3-ديوان الشاعر، تح: العربي دحو، منشورات ثالة الجزائر، ط3، 2007.

2/ المراجع:

1-إبراهيم إبراهيم ياسين، مدخل إلى التصوف الفلسفي، منتدى سور الأزبكية، جامعة المنصورة، 1998.

2-إبراهيم مذكور، في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، دار المعارف القاهرة، ج2، (د.ط)، 2003.

3-ابن تيمية، بغية المرتاد، موسى بن سليمان، الدويشي، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ط3، 2001.

4-ابن خلدون، شفاء السائل وتهذيب المسائل، ت: محمد مطيع الحافظ، دار الفكر المعاصر، بيروت.لبنان، ط1، 1996.

5-إبن عربي، كتاب اليقين والمعرفة، تح: سعيد عبد الفتاح، مؤسسة الإنتشار العربي، بيروت.لبنان، (د.ط).

6- أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، إحياء علوم الدين، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت.لبنان، ط1، 2005.

7-أبو حامد الغزالي، معيار العلم في المنطق، أحمد شمس الدين، دار الكتاب العلمية، بيروت، ت: علم المنطق، ط2، 2013.

8-أبي القاسم عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية في علم التصوف، ت: معروف مصطفى زريق، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2001.

9-أبي نصر سراج الطوسي، اللمع في التصوف، تح: عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة، مصر، ومكتبة المثنى، بغداد، (د.ط)، 1960.

10-أحمد كمال الجزار، المفاخر في معارف الأمير الجزائري عبد القادر والسادة الأولياء الأكابر، مطبعة العمرانية للأوفست، الجيزة، ط1، 1997.

11-أرثور سعد يف، توفيق سلوم، الفلسفة العربية الإسلامية (الكلام والمشائية والتصوف)، دار الفرابي، بيروت.لبنان، ط1، 2000.

12-الصاوي الصاوي أحمد، الفلسفة الإسلامية (مفهومها و نشأتها وأهم قضياها) دار النصر للتوزيع والنشر، جامعة قناة السويس، 2007.

13-بركات محمد مراد، الأمير عبد القادر المجاهد الصوفي، دار النشر الإلكتروني جامعة عين الشمس،(د.ط).

14-سعيد مراد، العقل الفلسفي في الإسلام، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، ط1، 200.

15-صالح الرقب، دراسات في التصوف والفلسفة الإسلامية، قسم العقيدة، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، ط2، 2008.

16-عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، باتنة، 2000.

17-عبد الفتاح محمد سيد أحمد، التصوف بين الغزالي وابن تيمية، دار الطباعة للنشر والتوزيع، ط1، 2000.

18-عشراتي سليمان، الأمير عبد القادر المفكر، دار الغرب للنشر والتوزيع، ط2، 2003.

19-فؤاد سيد صالح، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الرغاية.الجزائر، 1985.

20-لطف الله عبد العظيم خوجة، الإنسان الكامل في الفكر الصوفي عرض ونقد، دار الفضيلة للنشر. السعودية، ط1، 2009.

21-قدوى حافظ طوقان، مقام العقل عند العرب، ثروة اباضة، القاهرة. بيروت، 2002.

22-محمد أحمد حسن، مكانة العقل في القران الكريم والسنة، المفتي العام للقدس الديار فلسطين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، (د.ط).

23-محمود محمد زقزوقي، المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، الناشر دار المعارف، القاهرة.

24-محي الدين ابن عربي، فصوص الحكم، شرح: عبد الرزاق القشاني، دار الأفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2016.

25-ميسون مسلاتي، قراءة معاصرة لأفكار ابن عربي، دار الأفنطة للنشر، ط1، 1997.

26-نزار إباضة، الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، دار الفكر المعاصر، بيروت.لبنان ط1، 1994.

27-هنري كوربان، الخيال الخلاق في تصوف ابن عربي، تر: فريد الزاهي، منشورات مرسم الرباط، ط2، 2006.

28-يوسف زيدلن، الفكر الصوفي بين عبد الكريم الجيلي وكبار الصوفية، دار الأمين للطباعة، مصر، ط2، 1998.

29-يوسف محمود محمد، أسس اليقين في الفكر الديني والفلسفي، دار الحكمة للنشر، الدوحة، ط1، 1993.

30-ابن سينا ومذهبه في النفس، دار الأحد البحيري إخوان، بيروت، 1974.

3/ المعاجم والقواميس والموسوعات:

أ-المعاجم والقواميس:

1-إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤن المطابع الأميرية، القاهرة، مجمع اللغة العربية، مصر، 1983.

2-احمد بن فارس زكريا، معجم مقاييس اللغة، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، (د.ط)، ج4.

3-أيمن حمدي، فهرس المصطلحات الصوفية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، 2000.

4-جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت.لبنان، ج2، (د.ط)، 1972.

5-حسن الشرقاوي، معجم الألفاظ الصوفية مؤسسة مختار، علم المعرفة القاهرة، ط1، 1987، ط2، 1992.

6-علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر، القاهرة،

7-محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت. لبنان، مجلد 10، ط3، 1971.

8–مراد وهيبة المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2007.

ب–الموسوعات:

1–عبد المنعم حنفي، الموسوعة الصوفية(أعلام التصوف والمنكرين عليه والطرق الصوفية)، دار الرشد للطبع والنشر والتوزيع، ط1، 1992.

2–عبد الرحمان بدوي، الموسوعة الفلسفية، المؤسسة الفلسفية العربية للدراسات والنشر، بيروت، ج2، ط1، 1984.

3–محمد علي التهانوي، موسوعة كشاف إصطلاحات العلوم والفنون، ت: علي دحروج، مكتاة لبنان ناشرون، ج1، ط1، 1996.

4–معين زيادة، الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الإنماء العربي، قريش، ط1، 1987.

4/ المذكرات:

1–سهيلة ربيعي، منزلة العقل عند أبي حامد الغزالي، إشراف عبد المجيد مسالتي، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية، جامعة محمد بوضياف لمسيلة، 2018/2017.

2–ساعد خميسي، التأويل الأكبر بين الرمزية وقوة الخيال، جامعة قسنطينة2.

3–عائشة بن ساعد، البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر الجزائري، ناصر الدين سعيدون، قسم التاريخ، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر،2004/2003.

4–عبد الوهاب بالفراس، الحدث التاريخي في اللحظة الصوفية، عبد اللاوي محمد، قسم الفلسفة، كلية العلوم الإجتماعية، جامعة وهران، 2010/2011.

5/المجلات:

1–مالك بن خليف، التربية الصوفية والسياسية في حياة الأمير عبد القادر، مجاة التواصل في العلوم الإنسانية والإجتماعية، ع2، جامعة باجي مختار، عنابة، 2017.

2–قرين جميلة، الحقيقة الصوفية بين العقل والكشف، قسم الأدب العربي، كلية الأدب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة(الجزائر)، ع6، 2010.

3–محمد علي الجوزو، العقل في الكتاب والسنة، أبحاث ووقائع المؤتمر العام الثاني والعشرون، مفتي جبل لبنان، المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية.

4-ناجم مولاي، مفهوم الإنسان الكامل في الفكر الصوفي، مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة عمار ثليجي بالأغواط، (الجزائر)، ع7، 201.

6/الموسوعة الحرة:

تعريف العقل لغة واصطلاحا، الجوزة الإعلامي، دار الغدير، 20/04/2021 httpe hawzah net13د22h.

فهرس الآيات القرآنية:

فهرس الآيات القرآنية.			
الآيـــــــــــــة	**رقم الآية**	**الســورة**	**الصفحة**
{أفَلاَ تَعْقِلُونَ}	44	البقرة	10
{ومَا يَعْقِلُهَا إِلاَ العَالِمُونَ}	43	العنكبوت	10
{وَقَالُوا لَوْ كُنَا نَسْمَعُ أو نَعْقِلُ مَا كُنَا فِيْ أَصْحَابُ اَلْسَعْيِر}	10	الملك	11
{إِنْ تَتَقُول يَجْعَل الله لَكُمْ فُرْقَانَا}	29	الأنفال	18
{وَنَفَخْتُ فِيْهِ مِنْ رُوحِي}	39	الحجر	21
{هُوَ الذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفَسٍ وَاحِدَة}	189	الأعراف	23
{وَتُوبُوا إِلى الله جَمِيعًا أَيُّهَ اَلْمُؤْمِنُونَ لَعْلَكُمْ تُفْلِحُونَ}	31	النور	32
{لِكَيْلاَ تَأسَوْا عَلى مَافَاتَكُمْ، وَلاَ تَفْرَحُوْا بِمَآ ءَاتَايكُمْ}	23	الحديد	35
{وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُوْدَةٍ وَكَانُوْا فِيْهِ مِنَ الزَّاهِدِيْنَ}	20	يوسف	36
{إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ}	10	الزمر	36
{وَعَلَى الله فَلِيَتَوَكَل اَلْمُؤْمِنُونَ}	160	آل عمران	38
{وَرِضْوَانُ مِنَ الله أَكْبَرُ}	72	التوبة	39
{فَضَّلَ الله الْمُجَاهِدِيْنَ بِأَمْوَالِهُمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلى القَاعِدِينَ دَرَجَة}	94	النساء	45
{فَضَّلَ الله المُجَاهِدِينَ عَلى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيْمَا}	94	النساء	45
{وَاَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ اَلْيَقِينُ}	99	الحجر	55
{كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ اَلْيَقِينِ}	05	التكاثر	57

{ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ اَلْيَقِينِ}	07	التكاثر	57
{إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ}	40	النحل	60
{هُوَ الْأَوَّلُ وَالْأَخِرُ وَالظَّاهِرُ وَاَلْباطِنُ}	03	الحديد	61
{وَيُحَذِّرُكُمُ الله نَفْسَهُ}	30	آل عمران	62
{وَمِنْ وَرَآئِهِم بَرْزَخُ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}	100	المؤمنون	69
{فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ}	101	المؤمنون	72
{وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَمَا فِي اَلْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ}	13	الجاثية	78

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	08-05
الفصل الأول: العقل عند الأمير عبد القادر	26-09
المبحث الأول: تعريف العقل وأقسامه	15-09
المبحث الثاني: تعريف العقل عند الأمير	18-16
المبحث الثالث:علاقة العقل بالنفس والحس	26-18
الفصل الثاني: طرق معرفة الله عند الأمير	58-27
المبحث الأول: المقامات والأحوال	46-28
المبحث الثاني: الكشف	53-47
المبحث الثالث: اليقين	58-53
الفصل الثالث: مرتكزات المعرفة في وحدة الوجود عند الأمير عبد القادر	79-59
المبحث الأول: أصل الوجود عند الأمير	62-60
المبحث الثاني: الخيال والبرزخ	72-63
المبحث الثالث: الإنسان الكامل	79-73
خاتمة	82-80
الفهارس	83-83
المصادر والمراجع	89-84
فهرس الآيات القرآنية	92-90
فهرس الموضوعات	93-93

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
FACULTY OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES

1985
جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
الرقم: /2021

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

انا الممضى ادناه :

السيد(ة): خلفاوي عوالي

الصفة(طالب، استاذ باحث، باحث دائم): طالبة

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 200335053

الصادرة بتاريخ: 11-04-2016 عن دائرة: بوسعادة

المسجل بكلية: العلوم الإنسانية الاجتماعية قسم: الفلسفة

تخصص: فلسفة عامة تحت رقم التسجيل: 161635092458

والمكلف بإنجاز اعمال بحث(مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، اطروحة دكتوراه) .

عنوانها: نظرية المعرفة عند الأمير عبد القادر الجزائري

المسيلة في: 09/06/2021

امضاء المعني (ة):

المرجع: القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في: 28-07-2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.